ظاهرة الانتظار والترقب في شعر امرئ القيس

د. فريد عبد الظاهر سعيد(*)

ظاهرة الانتظار والترقب هي من الظواهر القديمة التي سادت في الشعر العربي القديم، وهي متلازمة مع بعض الشعراء المشهورين، نتيجة ظروفهم، ومغامراتهم المتعددة في حياتهم، وكذلك بالنسبة للبيئة التي عاشوا فيها، وما ترتب عليها من ظواهر للحياة الأدبية والاجتماعية.

فالاجتماعية تتمثل في المجتمع، وما يسوده من مواقف مثل الحروب والقوة التي كانت تعيشها البيئات العربية، وكذلك ما شغل به الشعراء من مواقف مثل الحب، والعشق، والفراق، والجنون، وغير ذلك "وأبسط صورة للانتظار، هو أن ينتظر الإنسان أمرا ما يتمني حدوثه في المستقبل الغريب أو البعيد، هذا الأمر قد يحدث أولا حسب الظروف المحيطة، وحسب ما يستجد من الأحداث في هذا المستقبل، والانتظار بهذه الصورة يعد سمة مشتركة بين جميع البشر، ولكن تتفاوت درجة إيمان كل مجتمع بشري حسب المكونات الفكرية لعقل ووجدان أفراد هذا المجتمع، ومن ثم تكتسب ظاهرة الانتظار درجة من الخصوصية، تجعلها من مجتمع الي آخر شكلا ومضمونا(1)".

كذلك هذه الظاهرة تشكل جوانب نفسية منعكسة علي طبيعة الشعراء، وظروفهم، كما تعد ملمحا بارزا من خلاله كل ما يدور حولهم.

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلي معرفة هذه الظاهرة التي سادت في ذلك العصر، وكذلك تنوعها عند الشعراء من خلال أشعارهم وكذلك تكتشف من خلالها

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد – كلية الآداب – أسوان .

(1) محمد عبد الله حسين، ظاهرة الانتظار في المسرح الشعري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨٨، ص٧.

طبيعة الشعراء، وعلاقتهم بالبيئة والمجتمع، وكذلك معرفة أهمية استخدام هذه الظاهرة في العصر الجاهلي.

حجم المادة العلمية، ومصادرها:

يبلغ حجم المادة العلمية، والتي سنقف أمامها في هذا البحث.قرابة المائتي بيت موزعة ومتناثرة في دواوين شعرية مختلفة ودراسات متعددة وهي كالتالي:

- **دوواين الشعراء، ومنها ديوان امرئ القيس[٢]، وكذلك شروح المعلقات.**
- **كتاب المفضليات للمفضل الضبي[٣].**
- **ديوان المهلهل بن ربيعة[٤].**
- **كتاب الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمني الراجكوتي[٥].**

المنهج المتبع في الرسالة:

مناهج الدراسات الأدبية والنقدية كثيرة متعددة، فلاغني لمنهج عن منهج آخر، لأنها يتمم بعضها بعضًا.

"ومنهج البحث الأدبي، الطريقة التي يسير عليها، ليصل الي حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب أو قضاياه منذ العزم علي الدراسة، وتحديد الموضوع... حتي تقديمه ثمرة عملة.

وهو يفيد كثيرا من المناهج الآخري في خطوطها العامة[٦]"

"وتتنوع المناهج العلمية في أطر البحث الأدبي تبعا لمجالات البحوث وطبيعتها وموازنتها بغيرها وتفسيرها للوصول إلي أحكام مقبولة، أو بتتبع

---

(2) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٤ دار المعارف، مصر، مصر.

(3) تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط٧، دار المعارف، مصر.

(4) شرح وتحقيق طلال حرب، الدار العالمية، لبنان ١٤١٣ه، ١٩٩٣.

(٥) جمع عبد العزيز الميمني الراجكوتي، سلسلة الذخائر، رقم ١٨١ الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، د.ت التقديم، د/مي خليف.

(6) علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٦.

المنهج الإبداعي الذي يتبع المسارات التي تحقق درس العملية الإبداعية في الأدب[٧]".

"والمنهج هو عماد العملية البحثية في الأدب أو غيره من العلوم والمعارف وهو في الأدب معتبر، لأنه يبتعد بالباحث عن الغموض والبساطة، عن الغموض حتي لا يضل معه الطريق والبساطة فتضيع معالم الموضوع، وعن ذلك الهوى ترق العواطف، وبذلك يتحقق الهدف وتدرك الغاية من وراء الدراسات الأدبية، وكل ذلك يؤكد حماية الجهد الذي يبذله الباحث الأدبي[٨]".

وخلاصة ذلك أنني لم أتحجر عند منهج واحد ألف وأدور حوله، وإنما اتبعت المنهج التكاملي فيما يفيد من تقويم ومعرفة الظاهرة الأدبية، وكانت النتيجة منهجا تكامليا يستخدم كل المناهج في حينها يقدم رؤية تكاملية[٩].

أهم نقاط البحث الرئيسة:

المحور الأول:

ظاهرة الانتظار والترقب في الشعر قبل امرئ القيس:

١- ظاهرة الانتظار والترقب عند الشنفري ت ٥٢٥ م.

٢- ظاهرة الانتظار والترقب عند المهلهل بن ربيعة ت ٥٢٥ م[١٠].

---

(7) مصطفي السيوفي، المنهج العلمي في البحث الأدبي، الدار الدولية للأستثمارات الثقافية، ط١، ٢٠٠٨ مصر، ص١٤.

(8)السابق ص١٥.

(9) لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب الدكتور شوقي ضيف البحث الأدبي ط٩، دار المعارف مصر د/ت ص١٢٩ ومابعدها – وكتاب الدكتور يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر، د/ت ص ٤٤،٤٥، وكتاب الدكتور عبدالله التطاوي، منهجية البحث الأدبي الدار المصرية اللبنانية مصر،د،ت ص ٥٢-٥٥، وكتاب خيرية الثقاف، مناهج دراسة الأدب العربي وتدريسه في الجامعات العربية، ط جامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية الرياض ط ١٤١٣هـ-١٩٩٣، ص ١٥٩-١٦٣، وكتاب محمد أحمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، ط مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م ص ١١٩-١٤٢ وما بعدها.

(10) ذكر الدكتور محمد عوني عبد الرؤف في كتابه بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف نقلا عن كتاب علي أحمد سعيد (أدونيس) ديوان الشعر العربي المطبوع

المحور الثاني:ظاهرة الانتظار والترقب عند امرئ القيس ت ٥٤٢م.

المحور الثالث: الدراسة الفنية.

المحور الرابع: نتائج الدراسة.

المحور الخامس: ثبت المصادر والمراجع.

صلب الموضوع:

ظاهرة الانتظار والترقب من الظواهر التي وجدت طريقها في الشعر العربي في العصر الجاهلي نتيجة غزارة الشعر وتطوره، وكذلك اهتمام البيئة العربية به.

"وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم.

وذب عن أحساسهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لايهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج(١١)".

وهذه الظاهرة أحسسنا بوجودها في الشعر الجاهلي، لما فيه من مواقف وظروف، وجوانب نفسية مر الشعراء بها.

لذا كان غرضنا الحديث عنها فلابد أن نقف وقفة أمام الشعراء الذين سبقوه، وماتوا قبله حتي نعرف قيمة وأهمية هذه الظاهرة عندهم، وهل كانت موجودة عندهم، أم أن امرئ القيس هو المؤسس الحقيقي لهذه الظاهرة.

بالمكتبة المصرية بيروت ١٩٦٤ إن الشاعرين توفيا عام ٥٢٥ للهجرة، حينما رتب الشعراء حسب التسلسل التاريخي بينما ذكر جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية جـ ١ ط دار الهلال أن الشنفرى توفي عام ٥١٠ للهجرة، أما المهلهل بن ربيعة توفي عام ٥٣١ للهجرة، المهم أن الشاعريين توفيا قبل امرئ القيس.

(11) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر ونقدة وأدبه، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ص٦٥.

ومن ثمَّ كان لزاما علينا أن نقف أمام شاعرين مشهورين سبقا امرأ القيس وتوفيا قبله، وهما:

- **الشنقري الأزدي ت ٥١٠هـ.**
- **المهملهل بن ربيعة ت ٥٣١هـ.**

ظاهرة الانتظار والترقب عند الشنفري:

"واسمه ثابت بن أوس الأزدي من أهل اليمن، حتي قام صاحب خزانة الأدب، فانتقد هذا الزعم، ويسلم بأن الشنفري شاعر جاهلي، قحطاني من الأزد. ولكنه لم يسلم بكون "الشنفري" لقبا له، فقال: "وزعم بعضهم "ان الشنفري لقبه، ومعناه عظيم الشفة(١٢)".

"إن الشنفري كان من الأواس بن الحجر من الهنو بن الأزد بن الغوث، أسرته بنو شبانه بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان(١٣)".

والشنفري علي رأس الشعراء الصعاليك الذين اشتهروا بالعدو والإغارة علي القبائل للنهب والسلب.

"وهو مثال صادق للشاعر الفطري القديم، كان وليد القفار، أليف الغابات، عشير الضواري. فأتي شعره صورة لحياته، خشن الفكر خشن الصورة، حسن التعبير، ولكنه صادق فيما يقول، دقيق فيما يصور، فنان عن غير علم، في ما ينقل من حوادث حياته يغير في الليلة المظلمة علي قوم مطمئنين، فينهب ويعود مسرعا رابحا، فيهيج بخاطرة الشعر، فيصور فتكه بسرعة تعادل سرعة بطشة(١٤).

(12) فؤاد أفزام البستاني، الروائع، الشعر الجاهلي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٨، ص ٥٠.

(13) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط ٢١، ص ١٨٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ١٩٨٣.

(14) فؤاد أفرام البستاني، الروائع ص ٥٦- ٥٧.

إذًا فهو شاعر من أصحاب هذا المذهب الذي سار علي هذه الطريقة وهي طلب الرزق الذي يحصلون عليه، وكذلك التكسب في الحياة لشدة مايقاسون به من جوع وطول حرمان.

"ومن أخبار هؤلاء الصعاليك أن أخبارهم حافلة بالحديث عن فقرهم، فكل الصعاليك فقراء، لا نستثني منهم أحدا(١٥)".

"وكان الشقاء والبؤس مسيطرين عليه في حياته، مما جعل الحقد عنده كسمة يتخذها ضد أفراد المجتمع هو وأقرانه، وتتردد في أشعارهم جميعا صيحات الفقر والجوع كما تموج أنفسهم بثورة عارمة علي الأغنياء، والأشحاء، ويمتازون بالشجاعة والصبر عند البأس وشدة المراس، وسرعة العدو حتى ليسموا بالعدائيين، وحتى لنضرب بهم الأمثال بهم في شدة العدو(١٦)".

"وهو صورة فريدة تلمس فيها حرارة العاطفة وصدق البيان وسمو الخيال وروعة التفكير المثالي كثير من موضوعات الحياه المثالية، وموضوعات آخري كالموت والفناء(١٧)".

وموضوعات الانتظار والترقيب عند الشنفري تتركز في أشعارة في ثلاثة جوانب، هي المحبوبة، والثأر والعدو، وهي متوائمة معه في حياته، ونظرا لظروفه التي كان يعيشها في حياته وهي الصعلكه التي كانت موجودة في عصره وهو علي رأس هؤلاء الصعاليك.

أولا: انتظار وترقب المحبوبة:

وهي عادة من عادات شعراء العرب في العصر الجاهلي، وخاصة المشغولين منهم في حياتهم بمحبوباتهم.

---

(15) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط٢، د.ت، ص ٢٨.

(16) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط٨، د.ت، ص٣٧٥.

(17) محمود حسين أبو ناجي، الشنفري صاحب الصحراء والحب، مؤسسة علوم القرآن، دمشق سوريا، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص ٧.

"ولعل الشنفري شاعر الجاهلية الوحيد الذي لم يخصص موضوعا خاصا عن المرأة غزلا وهياما، وانما جاء حديثة عن المرأة عابرا ضمن موضوعات شعره المختلفة، والأبيات التي وردت في القول، أو في وصف المرأة كانت تتغني بجمال المرأة الخلقي[١٨]"

ففي قصيدته التي يتحدث فيها عن أم عمرو التي يبين فيها أنها ارتحلت بقومها وأنها استبدت به وشغلت باله بحبها فتركت أثرا في نفسه مما جعله متأثرا بهذا الحب، إذا رأينا آلامه وبغضه فيقول (من الطويل):

أَلا أَمُّ عَمـــرو أَجمَعَـــت فَاســـتَقَلَّتِ ... وَمـــا وَدَّعَـــت جيرانَهـــا إذ تَوَلَّـــتِ
وَقَـــد سَـــبَقَتنا أُمُّ عَمـــرو بِأَمرِهـــا ... وَكَانَـــت بِأَعنـــاقِ المَطِـــيِّ أَظَلَّـــتِ
بِعَينَـــيَّ مـــا أَمـــسَت فَباتَـــت فَأَصـــبحَتَ ... فَقَـــضَّت أُمـــوراً فَاســـتَقَلَّت فَوَلَّـــتِ
فَـــوا كَبِـــدا عَلـــى أُمَيمَـــةَ بَعـــدَما ... طَمِعـــتُ فَهَبهـــا نِعمَـــةَ العَـــيشِ زَلَّـــتِ
فَيـــا جـــارَتي وَأَنـــتِ غَـــيرُ مُليمَـــةٍ ... إِذا ذُكِـــرتُ وَلا بِـــذاتِ تَقَلَّـــتِ
لَقَـــد أَعجَبَـــتني لا سَـــقوطاً قِناعُهـــا ... إِذا مـــا مَـــشَت وَلا بِـــذاتِ تَلَفُّـــتِ
تَبيـــتُ بُعَيـــدَ النَـــومِ تُهـــدي غَبوقَهـــا ... لِجارَتِهـــا إِذا الهَدِيَّـــةُ قَلَّـــتِ
تَحُـــلُّ بِمَنجـــاةٍ مِـــنَ اللَّـــومِ بَيتَهـــا ... إِذا مـــا بُيـــوتٌ بِالمَذَمَّـــةِ حُلَّـــتِ
كَـــأَنَّ لَهـــا في الأَرضِ نِـــسْياً تَقُـــصُّهُ ... عَلـــى أَمِّهـــا وَإِن تُكَلِّمْـــكَ تَبلَـــتِ[١٩]

ويقول الدكتور يوسف خليف "إنها أروع ما وصل إلينا من مقدمات الشعر الجاهلي القولية في وصف جمال المرأة المعنوي وأن هذه المحبوبة أجمعت أمرها وبدأت رحلتها دون أن تتيح لها الظروف فرصة وداع صاحبها الذي تحبه ويحبها أو وداع جاراتها اللاتي تجمع بينها وبينهن علاقات طيبه[٢٠]"

وهنا نري الحسرة والألم والحزن الذي أصابه ؛ ومن ثمَّ فرسم لنا أعظم وأروع صورة للجوانب الممنوحه من جمال المرأة في عدة جوانب فهى

(18) أبو ناجي، الشنفري صاحب الصحراء والحب.
(19) المفضليات، ص ١٠٨-١٠٩.
(20) يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، د.ت ص ١٥٢.

مثالية مع نفسها في هذه المعاملة مع الرجل وأنها كزوجة وأنها صاحبة أخلاق مع أقرانها.

ويتوالي الحب في وصفه للأسي الذي أصابه نتيجة الفراق وهو أشبه بشئ مفقود عنده، لأن هذه المحبوبة كاملة الصفات شديدة الحياء محافظة علي نفسها محبة لزوجها شديدة الإخلاص والوفاء محافظة عليه في حله وترحاله، وكذلك فإنها كريمة مع جاراتها لطيفة العشرة وحسنة المعاملة معهن تؤثرهن علي نفسها في أوقات الشدة والجدْب لا تبخل عليهن بشئ فيقول (من الطويل):

أُمَيمَـــةُ لا يُخـــزى نَثاهـــا حَليلَهـــا ... إذا ذُكَـــرِ النِّـــسوانُ عَفَّـــت وَجَلَّـــتِ

إذا هُـــوَ أَمـــسى آبَ قُـــرَّةَ عَينِـــهِ ... مَـــآبَ الـــسَعيدِ لَـــم يَـــسَل أَيـــنَ ظَلَّـــتِ

فَـــدَقَّت وَجَلَّـــت وَاســـبَكَرَّت وَأُكمِلَـــت ... فَلَـــو جُـــنَّ إِنـــسانٌ مِـــنَ الحُـــسنِ جُنَّـــتِ

فَبِتنـــا كَـــأَنَّ البَيـــتَ حُجَّـــرَ فَوقَنـــا ... بِرَيحانَـــةٍ ريحَـــت عِـــشاءً وطُلَّـــتِ

بِرَيحانَـــةٍ مِـــن بَطـــنِ حَليَـــةَ نَـــوَّرَت ... لَهـــا أَرَجٌ مـــا حَولَهـــا غَـــيرُ مُـــسنِتِ

وَباضِـــعَةٍ حُمـــرِ القِـــسِيِّ بَعَثتُهـــا ... وَمَـــن يَغـــزُ يَغـــنَم مَـــرَّةً وَيُـــشَمَّتِ

خَرَجنـــا مِـــنَ الـــوادي الَّـــذي بَـــينَ مِـــشعَلٍ ... وَبَـــينَ الجَبـــا هَيهـــاتَ أَنـــشَأتُ سُـــربَتي

أُمَـــشّي عَلـــى الأَرضِ الَّـــتي لَـــن تَـــضُرَّني ... لِـــأَنكِيَ قَومـــاً أَو أُصـــادِفَ حُمَّـــتي

أُمَـــشّي عَلـــى أَيـــنِ الغَـــزاةِ وَبُعـــدَها ... يُقَـــرَّبُني مِنهـــا رَواحـــي وَغُـــدوَتي

وَأُمَّ عِيـــالٍ قَـــد شَـــهِدتُ تَقَـــوتُهُم ... إِذا أَطعَمَـــتهُم أَوتَحَـــتْ وَأَقَلَّـــتِ

تَخـــافُ عَلَينـــا العَيـــلَ إِن هِـــيَ أَكثَـــرَت ... وَنَحـــنُ جِيـــاعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّـــتِ[٢١]

كل هذه السمات التي ذكرها جعلته يترقب وينتظر لهذه المحبوبة، لأنها كاملة السمات والصفات فوقف يرقب هذه المواقف، برغم من أنه بخيل إلا أنه تحدث عن كرمها وعن جمالها وكان وصفه لها وصفا حسيا ومعنويا، وهي تستحق الوصف لأنها كاملة الجمال.

(21) المفضليات، ص١٠٩-١١٠.

"وهي أيضا طيبة الرائحة، نفاذة العطر، نمت في واد شديد الخصب، تحمله نسمات العشاء الرقيقة الناعمة، وقد أخذ الندي يتساقط فوقها فينديها ويرطبها [٢٢]".

وهناك صورة آخري لترقبه و انتظاره للمرأة لكن هذه المرة يطلب منها أن تكون زوجة له راغبة فيه وفي هذه الفترة كان أسيرًا في بني سلامان ويبرز مكانته وشجاعته، ويطلب منها ألا تتزوج إلا الشجاع الأبي، وقد ظهر ذلك من خلال حديثة إليها، فيقول من الوافر:

ألا هل أتى فتيانَ قومي جماعةً ... بما لَطمت كفُّ الفتاة هجينَها
ولو علمت تلك الفتاةُ مَناسبي ... ونسبتها ظلت تقاصَرُ دونها
ألَيس أبي خير الأواسِ وغيرَها ... وأمي ابنةَ الخيرَيْن لو تعلمينها
إذا ما أرومُ الودَّ بيني وبينها ... يؤمْ بياضُ الوجه مني يمينَها[٢٣]

وللشنفري نموذج آخر في ترقبه للمرأة فهو يصف حالته بين جبال قو سائلا إياها إما الود أو الخيانة، كما يظهر ضعفه لها واصفا حالتها أنها هي الرجل وهو المرأة فيقول من الوافر:

إذا أصبحتُ بين جبال قَوٍّ ... وبِيْضانِ القُرى لم تَحْذرينى
فَإمّا أَن تَوَدّينا فَنَرعى ... أَمانَتَكُم وَإمّا أَن تَخوني
سَأُخلِي لِلظَّعينَةِ ما أَرادَت ... وَلَستُ بِحارِسٍ لَكِ كُلَّ حينِ
إِذا ما جِئتِ ما أَنهاكِ عَنهُ ... فَلَم أُنكِر عَلَيكِ فَطَلِّقيني
فَأَنتِ البَعلُ يَومَئِذٍ فَقومي ... بِسَوطِكِ لا أَبا لَكِ فَاضرِبيني[٢٤]

هذه صورة انتظار وترقب المرأة عند الشنفري فهي صورة تظهر مكانته ومشاعره التي يغلب عليه فيها الجانب الأخلاقي، فلم نرعنده المجون، أو الخلاعة، بل رأينا عنده الصورة المثالية التي رسمها لصاحبته هذا في

(22) يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، ص ١٥٤.
(23) الطرائف الأدبية، ص ٤٠-٤١.
(24) الطرائف الأدبية، ص ٤٢-٤٣.

النموذج الأول، أما في النموذجين الآخرين فرأينا مكانته كأسير وضعيف تجاهها.

ثانيا: انتظار الثأر:

وهي ظاهرة موجودة في العصر الجاهلي، وقد ظهرت عند كثير من الشعراء

"والثأر نظام بدوي حيث لا حكومة ولا محاكم ولا سلطة تحول بين الموتور والواتر، وقد كان هناك شيوخ القبائل ، ولكنهم لم يكونوا يملكون القوة التنفيذية التي يقتصون من الجاني، لأن القبيلة لم تكن لها قانون جنائي فليس أمام الموتور إلا أن ينتقم من واتره وكان الثأر واجبا علي أقرب الناس للقتيل وكانت عشيرة الجاني لا تخذله أو تسلمه الي الموتور، بل كانت تحميه أو تؤاذره، فإذا ما قتل جدت عشيرته لتثأر له أيضا وبذلك تجددت الحروب والمنازعات وسفك الدماء وتطاولت(٢٥)".

والشنفري علي الرغم من أنه من جماعة الصعاليك فإنه لم يفرط في الحصول علي ثأر أبيه، مسايرة لهذا المجتمع مرارا مع موقفة مع بني سلامان الذين قتلوا والده فهو يريد أن يشفي غليله منهم وحقده عليهم فيقول (من الطويل):

جَزَينا سَلامانَ بنَ مُفرِجَ قَرضَها ... بِما قَدَّمَت أَيديهِمُ وَأَزَلَّتِ

وَهُنَّئَ بي قَومٌ وَما إِن هَنَأتُهُم ... وَأَصبَحتُ في قَومٍ وَلَيسوا بِمُنيَتي

شَفَينا بِعَبدِ اللَهِ بَعضَ غَليلِنا ... وَعَوفٍ لَدى المَعدى أَوانَ اِستَهَلَّتِ

إِذا ما أَتَتني مِيتَتي لَم أُبالِها ... وَلَم تُذرِ خالاتي الدُموعَ وَعَمَّتي

وَلَو لَم أَرِم في أَهلِ بَيْتي قاعِداً ... إِذَن جاءَني بَينَ العَمودَين حُمَّتي

أَلا لا تَعُدني إِن تَشَكَّيتُ خُلَّتي ... شَفاني بِأَعلى ذي البُرَيقَين غَدوَتي

وَإِنّي لَحُلوٌ إِن أُرِيدت حَلاوَتي ... وَمُرٌّ إِذا نَفْسُ العَزوفِ اِستَمَرَّتِ

(25) أحمد الحوفي، الحياه العربية من الشعر الجاهلي، دار القلم بيروت – لبنان، د.ت، ص ٢٨٢-٢٨٣.

أَبَـــيٌّ لِمـــا آبـــي سَـــريعٌ مَبـــاءَتي إلى كُـــلَّ نَفـــسٍ تَنتَحـــي في مَـــسَرَّتي(٢٦)

"وهو يصرح بأنه جزي بني سلامان بما قدمت أيديهم، ويأسي أن كانوا قومه ولا ينتفعوا به وببأسه وأن يقعدلهم ويقعدوا له لما بينهم وبينه من ثأر قديم ويحدثنا أنه شفي بعض غليله بقتله لرجلين منهم هما عبد الله وعوف، ويقول إنه حلو لأصدقائه مر علي أعدائه كأنه الحنظل وهكذا كانت حياته غارات ومغامرات حتي أصاب أعداؤه منه مقتلا فقتلوه(٢٧)".

"والشنفري يقف خاصة عند حادثة الثأر التي نظم فيها القصيدة من أجلها فقد ترصد لقاتل أبيه وهو يؤدي شعائر الحج في منى.

وقد لبس ملابس الإحرام ولبد شعره بشئ من الصمغ حتي لا يتأثر علي نحو ما كان يفعل المجرمون في ذلك العصر حتي إذا ما حانت الفرصة قتله بين أفواج الحجيج الذين تعلوا أصواتهم بالتلبية حول جمرات منى، وشفي لهذا بعض غليله ثم فر هاربا علي رجليه وهي صورة تعكس تلك الثورة المتمردة الخارجة علي كل ما تعارف عليه المجتمع من قوانين اجتماعية ومقدسات دينية وتهدأ ثورة الشاعر بعد أن شفي غليله بهذا الثأر الرهيب(٢٨)".

هذه هي صورة ظاهرة انتظار الثأر عند الشنفري والتي ذكر فيها موقفه من الحصول علي ثأر أبيه من بني سلامان، فقد تحين كل المواقف والظروف من أجل تحقيق هذا الهدف، وهي سمة تميز بها هؤلاء الصعاليك.

انتظار وترقب العدو:

وهي سمه تميز بها الصعاليك في حياتهم التي اعتادوا علي فعلها نتيجة ظروفهم، بما فيها من فقر، وبؤس، وحرمان، وكذلك طبقيتهم في المجتمع.

"وقد ساعدت البيئة الجغرافية الشعراء الصعاليك علي اتخاذ بعض مظاهرها أماكن للاختفاء والهروب، والترقب، والترصد، إذ إن وجود الجبال، والكهوف، والمغارات، والانحناءات، والوديان، والمنحنيات، والمرتفعات

(26) المفضليات، ص ١١٢.

(27) شوقي صيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط ٨، د.ت، ص ٣٨٢.

(28) مي يوسف خليف، القصيدة العربية في المفضليات، دراسة موضوعية وفنيه، مكتبة غريب، مصر، د.ت، ص ١٢٠-١٢١.

ساعدت كل هذه العوامل الصعاليك علي أن يتخذونها مراصد ويشنوا منها الغارات أو ينتظروا القوافل لسلبها ونهبها عندما يحل الليل[٢٩]".

"وفي شعر الصعاليك صورة كثيرة متعددة الألوان والأوضاع لهذه الغارات، وأحاديث عنها ما تكاد تنتهي حتى تبدأ، وفي أكثر قصائد هذا الشعر ومقطوعاته يردد الصعاليك أقاصيص هذه الغارات في فخر و إعجاب واعتداد بأنفسهم وبطولتهم[٣٠]".

والشنفري من هؤلاء الصعاليك، نقل لنا صورة حول هذه السمة، حيث حققت له هدفه من شن غاراته، وقد وصف لنا المكان الذي يرصد فيه حركات الآخرين، وأنه من أصعب الأمكنة يعجز عن الوصول إليه أمهر الصيادين الذين عودوا كلابهم علي تسلق الجبال المنيعة القوية العالية الشامخة فيقول (من الطويل) :

وَمَرقَبَةٍ عَنقاءَ يَقصُرُ دونَها ... أَخو الضَّرْوَةِ الرجلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ

نَعَبتُ إلى أَدنى ذُراها وَقَد دَنا ... مِنَ اللَيلِ مُلتَفُّ الحَدِيقَةِ أَسدَفُ

فَبِتُّ عَلى حَدِّ الذِراعَينِ مُجذِياً ... كَما يَتَطَوّى الأَرقَمُ المُتَعَطِّفُ

وَلَيسَ جِهازي غَيرُ نَعلَينِ أُسحِقَت ... صُدورُها مَخصورَةً لا تُخَصَّفُ

وَمِلحَفَةٍ دَرسٍ وَجَردٍ مُلاءَةٍ ... إِذا أَنهَجَت مِن جانِبٍ لا تُكَفَّفُ

وَأَبيَضُ مِن ماءِ الحَدِيدِ مُهَنَّدٌ ... مُجِذٌّ لِأَطرافِ السَواعِدِ مِقطَفُ

وَحَمراءُ مِن نَبعِ أَبِيٍّ ظَهيرَةٌ ... تُرِنُّ كَإِرنانِ الشَجِيّ وَتَهتِفُ

إِذا آلَ فيها النَزعُ تَأبى بِعَجزِها ... وَتَرمي بِذَروَيها بِهِنَّ فَتَقذِفُ

كَأَنَّ حَفيفَ النَبلِ مِن فَوقِ عَجزِها ... غَوارِبُ نَحلٍ أَخطَأَ الغارَ مُطنِفُ

نَأَت أُمُّ قَيسٍ المَربَعَينِ كِلَيهِما ... وَتَحذَرُ أَن يَنأى بِها المُتَصَيَّفُ

وَإِنَّكِ لَو تَدرينَ أَن رُبَّ مَشرَبٍ ... مَخوفٍ كَداءِ البَطنِ أَو هُوَ أَخوَفُ

وَرَدتُ بِمَأثورٍ يَمانٍ وَضالَّةٍ ... تَخَيَّرتُها مِمّا أُريشُ وَأَرصُفُ

---

29) محمود حسين أبو ناجي، الشنفري شاعر الصحراء، ص ٧٨.

(30) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت، ص٥٠.

أَرَكِّبُهـــا في كُـــلِّ أَحمَـــرَ غـــاثِرٍ وَأَنـــسِجُ لِلولـــدانِ مـــا هُـــوَ مُقـــرِفُ
وَتابَعـــتُ فيـــهِ البَـــرْيَ حَتّـــى تَرَكتُـــهُ يُـــرِنُّ إِذا أَنزَفتُـــهُ وَيُزَفـــزِفُ[٣١]

وهناك صورة آخري لمواقف العدو والغيرة عند الشنفري ذكرت في اللامية.

"وهذه اللامية لم ينازع أحد في أنها درة أدبية متميزة. وإذن فهي مما يعتز به الأدب العربي، ومما يحرص الأديب علي إبرازها حين يفاخرون بما في أدبهم من درر وروائع[٣٢]".

"وفي لاميته العرب قصة غارة مفاجئة قام بها الصعلوك في ليلة باردة ذات ظلام ومطر، وقد استبد به الجوع والبرد والخوف ثم عاد إلي قواعده سالما، وبعد أن حقق أهدافه مخلفا وراءه القوة يتساؤلون ما هذا الذي طرق حيهم ليلا وقد ذهبت آراؤهم فيه مذاهب شتي[٣٣]".

وهي صورة من صور الطبيعة بما فيها من مواقف وأحوال، وهدفه منها الإغارة علي الأعداء وقتل العديد منهم ويحقق هدفه في أسرع وقت ولا يزال الظلام دامسا فيقول (من الطويل):

وَلَيلَـــةِ نَحْـــسٍ يَـــصطَلِي القَـــوسَ رَبُّهـــا وَأَقطُعَـــهُ اللاتـــي بِهـــا يَتَنَبَّـــلُ
دَعَـــستُ عَلـــى غَطـــشٍ وَبَغـــشٍ وَصُـــحبَتي سُـــعارٌ وَإِرزيـــزٌ وَوَجـــرٌ وَأَفكَـــلُ
فَأَيَّمـــتُ نِـــسواناً وَأَيتَمـــتُ آلَـــدَةً وَعُـــدتُ كَمـــا أَبـــدَأتُ وَاللَيـــلُ أَلَيـــلُ
وَأَصـــبَحَ عِـــني بِالغُمَيـــصاءِ جالِـــساً فَريقـــانِ مَـــسؤولٌ وَآخَـــرُ يَـــسأَلُ
فَقـــالوا لَقَـــد هَـــرَّت بِلَيـــلٍ كِلابُنَـــا فَقُلنـــا أَذِئـــبٌ عَـــسَّ أَم عَـــسَّ فُرغُـــلُ
فَلَـــم تَـــكُ إِلّا نَبـــأَةً ثُـــمَّ هَوَّمَـــت فَقُلنـــا قَطـــاةٌ ريـــعَ أَم رِيـــعَ أَجـــدَلُ
فَـــإِن يَـــكُ مِـــن جِـــنٍّ لَـــأَبرَحُ طارِقـــاً وَإِن يَـــكُ أُنـــساً ماكَهـــا الأُنـــسُ تَفعَـــلُ

(31) الطرائف الأدبية، ص٣٧-٣٨, الاغاني ج ٢١ , ص ١٨٩-١٩٠.
(32) عبد الحليم حنفي، الشنفري الصعلوك حياته ولاميته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٩، ص ١٥٦.
(33) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص٥١.

وَيَـــومٍ مِـــنَ الـــشِعرى يَـــذوبُ لَوابُـــهُ أَفاعيـــهِ فِي رَمـــضائِهِ تَتَمَلمَـــلُ[٣٤]

هذه هي صورة انتظار وترقب العدو عند الشنفري والتي ظهر فيها بعض المواقف المتعددة عنده في المحبوبة والثأر والعدو.

ظاهرة الانتظار والترقب عند المهلهل بن ربيعة:

أما الشخصية الثانية، والتي سبقت امرأ القيس فهو المهلهل بن ربيعة.

"وهو عدي بن ربيعة، ويقال امرؤ القيس بن ربيعة، من بني تغلب وهـو أخو كليب الذي نشبت بسببه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل والتي عرفت بحرب البسوس خالة جساس بن مرة أحد سادة بكر وصهر كليب[٣٥]".

"والملهل بن ربيعة صاحب الأشعار البديعة والوقائع المجهولـة المريعـة وما جري له في تلك الأيام مع ملوك التابعية وفرسان الصدام من الحـوادث والوقائع التي تطرب القارئ وتسر السامع[٣٦]".

وكان سيدا في قومه عاش حياة مترفة شأنه شأن الأغنيـاء فـي هـذه الفترة.

"ولا شك أن المهلهل عاش حياة هانئة ميسورة فانصرف إلي التمتع بمـا حبته به الأقدار فعاقر الخمر ولا شئ يشغله عنها وعاشر المرأة وهذا طبيعي من شاب ميسور أمير إلي أن ضرب القدر ضربته وقتل كليب فوقف مهلهـل الموقف المشورة اليوم خمر وغدا أمر[٣٧]"

وكان المهلهل فصيحا شديد البأس في الحروب وقد شـهد حـرب يـوم السلامان مع أخيه كليب[٣٨]".

---

(34) اللامية، شرح عبد الحليم حنفي، مكتبه الآداب، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤، ص٣٠،٢٧.

(35) خليل أبو ذياب، الأدب الجاهلي، دار عمار، عمان الاردن، د.ت، ص ٢٥٢.

(36) المكتبه الثقافية، قصة الزير سالم أبو ليلي المهلهل، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٥.

(37) مهملهل بن ربيعة، ديوانه، تحقيق طلال حرب الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ١٣.

(38) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، د.ت،ص ١١٨.

كل هذه المواقف صنعت منه الشاعرية والمواقف البطولية التي عاشها مع قومه في حروبهم المتعددة والتي دارت بينهم وبين القبائل الأخرى فكان زعيمًا عند قومه أميرًا عليهم.

إن ظاهرة الانتظار والترقب عند المهلهل جاءت بعد مقتل أخيه كليب وتركزت عنده في جانبين هما الهم والثأر فكلاهما له أثر في نفسه فكانا مسيطرين عليه، وكان هدفه الرئيسي في ذلك هو أن يشفي غليله من بني بكر فقد رثاه، وعبر عن هذا الحب الأخوي في مقطوعات كثيرة كلها نقشات عبرت عن قلب مقروح ونفس حزينة وقد ندبه فيها كندب النساء فيقول (من البسيط):

كُلَيبُ لا خَيرَ في الدُنيا وَمَن فيها ... إن أَنتَ خَلَّيتَها في مَن يُخَلّيها
كُلَيبُ أَيُّ فَتى عِزٍّ وَمَكرُمَةٍ ... تَحتَ السَفاسِفِ إِذ يَعلوكَ سافيها
نَعى النُعاةُ كُلَيباً لي فَقُلتُ لَهُم ... مادَت بِنا الأَرضُ أَم مادَت رَواسيها
لَيتَ السَماءَ عَلى مَن تَحتَها وَقَعَت ... وَحالَتِ الأَرضُ فَانجابَت بِمَن فيها
أَضحَت مَنازِلُ بِالسُلّانِ قَد دَرَسَت ... تَبكي كُلَيباً وَلَم تَفزَع أَقاصيها
الحَزمُ وَالعَزمُ كانا مِن صَنيعَتِهِ ... ما كُلَّ آلائِهِ يا قَومُ أُحصيها
القائِدُ الخَيلَ تَردي في أَعِنَّتِها ... زَهواً إِذا الخَيلُ بُحَّت في تَعاديها
الناحِرُ الكومَ ما يَنفَكُّ يُطعِمُها ... وَالواهِبُ المِئَةَ الحَمرا بِراعيها [39]

فكانت حالته واضحة إثر مقتل كليب وظهرت طبيعة حزنه في صورة كاملة أشبه بحالة الخنساء في رثاء أخيها صخرا حينما قالت (من الوافر) :

فَقَد وَدَّعتُ يَومَ فِراقِ صَخرٍ ... أَبي حَسّانَ لَذّاتي وَأُنسي
فَيا لَهفي عَلَيهِ وَلَهفَ أُمّي ... أَيُصبِحُ في الضَريحِ وَفيهِ يُمسي [40]

(39) الاب لويس شيخو، شعراء النصرانية في الجاهلية، مكتبة الآداب، مصر، د.ت، ص١٦٦.

(40) ديوان الخنساء، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨ تحقيق أنور أبو سليم، ص٣٢٥.

وكذلك صورة محمد بن كعب سعد الغنوي حينما أتي أخاه بأجمل مايرثي أخ أخاه عندما تفجع بموته حينما قال من الطويل:

تَقولُ اِبنَةَ العَبسِيِّ قَد شِبتَ وَكُلُّ اِمرِئٍ بَعدَ الشَبابِ يَشيبُ
وَما الشَيبُ إلاّ غائِبٌ كانَ وَما القَولُ إلّا مُخطِئٌ وَمُصيبُ
تَقولُ سُلَيمى ما لَجِسمِكَ كَأَنَّكَ يَحميكَ الشَرابَ طَبيبُ
فَقُلتُ وَلَم أَعْيَ الجَوابَ وَلَم وَلِلدَهرِ في الصُمِّ الصِلابِ نَصيبُ
تَتابُعُ أَحداثٍ تَخَرَّمْنَ إِخوَتي فَشَيَّبنَ رَأسي وَالخُطوبُ تُشيبُ
لَعَمري لَئِن كانَت أَصابَت أَخي وَالمَنايا لِلرِجالِ شَعوبُ
لَقَد كانَ أَمّا حِلمُهُ فَمُرَوِّحٌ عَلَيَّ وَأَمّا جَهلُهُ فَعَزوبُ
أَخي ما أَخي لا فاحِشٌ عِندَ وَلا وَرِعٌ عِندَ اللِقاءِ هَيوبُ
أَخٌي كانَ يَكفيني وكانَ عَلى النائِباتِ السُودِ حينَ

والمهلهل في حزنه علي أخيه يقف منتظرا ومترقبا المواقف في جانبين رئيسين هما:

الأول: انتظار المزيد من الهم الذي يلازمه دائما إثر مقتل أخيه.

الثاني: هو الانتظار والترقب للحصول علي الثأر لأخيه وفي كل موقف من هذين الموقفين له ارتباط بالآخر ففي قصيدته التي عنوانها "أهاج قذاء عيني الإذكار" يبين لنا أنه لما أصبح إلي أخيه فدفنه وقام علي قبره واصفا حالته وألمه وأن دموعه في انحدار شديد وأن الليل قد غطي ظلامه وهو ليل ليس له نهار وبات يرقب النجوم وهو يبكي من الآم الفراق والبعاد فيقول من الوافر:

أَهاجَ قَذاءَ عَينِيَ الإذِّكارُ هُدُوّاً فَالدُموعُ لَها اِنحِدارُ
وَصارَ اللَيلُ مُشتَمِلاً عَلَينا كَأَنَّ اللَيلَ لَيسَ لَهُ نَهارُ
وَبِتُّ أُراقِبُ الجَوزاءَ حَتّى تَقارَبَ مِن أَوائِلِها اِنحِدارُ

(41) ابي زيد القرشي:جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام, مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية, الرياض, ج٢ ط١, ١٤٠١-١٩٨١ ص ٧٠١-٧٠٢.

أُصَـــرِّفُ مُقْلَتِـــيَّ في إثْـــرِ قَـــومٍ تَبايَنَـــتِ الـــبِلادُ بِهِـــم فَغـــاروا
وَأَبكـــي وَالنُجـــومُ مُطَلِّعـــاتٌ كَـــأَن لَـــم تَحوهـــا عَنّـــي

يناجي بعد ذلك كليبا ولكن المناجاه لا تنفع هنا، فهو في مكان قفر وأن موته كان فاجعة لكل بني نزار وأن عينيه أبت أن تكف عن الدموع وأن خبر موته كان بمثابة الشرار المتطاير من جنبيه فيقول من الوافر:

عَلـى مَـن لَـو نُعيتُ وَكـانَ حَيّـاً لَقـادَ الخَيـلَ يَحجُبُهـا الغُبـارُ
دَعَوتُـكَ يـا كُلَيـبُ فَلَـم تُجِـبني وَكَيـفَ يُجيـبُني البَلَـدُ القِفـارُ
أَجِـبني يـا كُلَيـبُ خَـلاكَ ذَمٌّ ضَـنينـاتُ النُفـوسِ لَهـا مَـزارُ
أَجِـبني يـا كُلَيـبُ خَـلاكَ ذَمٌّ لَقَـد فُجِعَـت بِفارِسِـها نِـزارُ
سَـقاكَ الغَيـثُ إِنَّـكَ كُنـتَ غَيثـاً وَيُـسراً حـينَ يُلـتَمَسُ اليَـسارُ
أَبَـت عَينـايَ بَعـدَكَ أَن تَكُفّـا كَـأَنَّ غَـضا القَتـادِ لَهـا شِـفارُ
وَإِنَّـكَ كُنـتَ تَحلـمُ عَـن رِجـالٍ وَتَعفـو عَـنهُمُ وَلَـكَ اِقتِـدارُ
وَتَمنَـعُ أَن يَمَـسَّهُمُ لِـسانٌ مَحافَـةَ مَـن يُجـيرُ وَلا يُجـارُ
وَكُنـتُ أَعُـدُّ قُربـي مِنـكَ رِبحـاً إِذا مـا عَـدَّتِ الـربحَ التِجـارُ
فَـلا تَبعَـد فَكُـلٌّ سَـوفَ يَلقـى شَـعوباً يَـستَديرُ بِهـا المَـدارُ
يَعـيشُ المَـرءُ عِنـدَ بَـني أَبيـهِ وَيوشِـكُ أَن يَـصيرَ بِحَيـثُ صـاروا
أَرى طـولَ الحَيـاةِ وَقَـد تَـوَلّى كَمـا قَـد يُـسلَبُ الـشَيءُ المُعـارُ
كَـأَنّي إِذ نَعـى النّـاعي كُلَيبـاً تَطـايَرَ بَـينَ جَنبَـيَّ الـشَرارُ[٤٢]

ويطلب في آخر الابيات من بني تغلب أن يثيروا نار الحرب نتيجة الحسرة والحزن الذي ألم بالقول وهو القضاء علي أشراف بني بكر حتي لا يبقي لهم أثر فيقول من الوافر:

فَـدُرتُ وَقَـد عَـشا بَـصَري عَلَيـهِ كَمـا دارَت بِـشارِبِها العُقـارُ

(42) ديوان المهلهل، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٣١.
(43) الديوان، ص ٣٢-٣٣.

سَـــأَلتُ الحَـــيَّ أَيـــنَ دَفَنتُمـــوهُ ... فَقـــالوا لـــي بِـــسَفحِ الحَـــيِّ دارُ
فَـــسِرتُ إِلَيـــهِ مِـــن بَلَـــدي حَثيثـــاً ... وَطـــارَ النَـــومُ وَامتَنَـــعَ القَـــرارُ
وَحـــادَت نـــاقَتي عَـــن ظِـــلِّ قَـــبرٍ ... ثَـــوى فيـــهِ المَكـــارِمُ وَالفَخـــارُ
لَـــدى أَوطـــانِ أَروَعَ لَـــم يَـــشِنهُ ... وَلَـــم يَحـــدُث لَـــهُ في النـــاسِ عـــارُ
أَتَغـــدوا يـــا كُلَيـــبُ مَعـــي إِذا مـــا ... جَبـــانُ القَـــومِ أَنجـــاهُ الفِـــرارُ
أَتَغـــدوا يـــا كُلَيـــبُ مَعـــي إِذا مـــا ... حُلـــوقُ القَـــومِ يَـــشحَذُها الـــشِفارُ
أَقـــولُ لِتَغلِـــبٍ وَالعِـــزُّ فيهـــا ... أَثيروهـــا لِـــذَلِكُمُ انتِـــصارُ
تَتـــابَعَ إِخـــوَتي وَمَـــضوا لِـــأَمرٍ ... عَلَيـــهِ تَتـــابَعَ القَـــومُ الحِـــسارُ
خُـــذِ العَهـــدَ الأَكيـــدَ عَلَـــيَّ عُمـــري ... بِتَركـــي كُـــلَّ مـــا حَـــوَتِ الـــدِيارُ
وَهَجـــري الغانِيـــاتِ وَشُـــربَ كَـــأسٍ ... وَلُبـــسي جُبَّـــةً لا تُـــستَعارُ
وَلَـــستُ بِخـــالِعٍ دِرعـــي وَسَـــيفي ... إِلى أَن يَخلَـــعَ اللَيـــلَ النَهـــارُ
وَإِلّـــا أَن تَبيـــدَ سَـــراةُ بَكـــرٍ ... فَـــلا يَبقـــى لَهـــا أَبَـــداً أَثـــارُ(٤٤)

وله قصيدة آخري بعنوان "لما نعي الناعي كليبا" نري فيها التهديد والوعيد لبني شيبان موضحا أنه لما نعي الناعي أخاه أظلمت الشمس في هذا اليوم ولا تريد أن تطلع وأن الجياد قد منعوا الخيل من أن ترتع كما تشاء وأن غليله لا يشفي إلا أن يبيد العديد من القبائل جميعا وأن يتذوق بنو بكر الموت والحتف والهلاك جميعا لأن جساس منهم وحتي نري جماجمهم تتطاير وأن يكونوا غذاء للطيور الجارحة وأن السيوف المشرفية لا تعرج عنهم حتي يبادوا جميعا وأن الخيل من شدة الحرب تصنع الغبار الكثيف.

فهنا يحذر أنصاره للثأر حيث يكرر كلامه يبيد قبيلة وقبيلة وقبيلتين جميعا وذكر الحتف والهلاك لبني بكر فيقول من الكامل:

لَمّـــا نَعـــى النـــاعي كُلَيبـــاً أَظلَمَـــت ... شَـــمسُ النَهـــارِ فَمـــا تُريـــدُ طُلوعـــا
قَتَلـــوا كُلَيبـــاً ثُـــمَّ قـــالوا أَرتِعـــوا ... كَـــذَبوا لَقَـــد مَنَعـــوا الجِيـــادَ رُتوعـــا
كَلّـــا وَأَنـــصابٍ لَنـــا عادِيَّـــةٍ ... مَعبـــودَةٍ قَـــد قُطِّعَـــت تَقطيعـــا

(44) الديوان، ص ٣٤.

حَتّـــى أُبيـــدَ قَبيلَـــةً وَقَبيلَـــةً ... وَقَبيلَـــةً وَقَبيلَـــتَينِ جَميعـــا
وَتَـــذوقَ حَتفـــاً آلُ بَكـــرٍ كُلُّهـــا ... وَنَهُـــدَّ مِنهـــا سَـــمكَها المَرفوعـــا
حَتّـــى نَـــرى أَوصـــالَهُم وجَمـــا جِمـــاً ... مِـــنهُم عَلَيهـــا الخامِعـــاتُ وُقوقـــا
وَنَـــرى سِـــباعَ الطَـــيرِ تَنقُـــرُ أَعيُنـــاً ... وَتَجُـــرُّ أَعـــضاءً لَهُـــم وَضُـــلوعا
وَالمَـــشرَفِيَّةَ لا تُعَـــرِّجُ عَـــنهُمُ ... ضَـــرباً يُقُـــدُّ مَفـــافِراً وَدُروعـــا
وَالخَيـــلُ تَقـــتَحِمُ الغُبـــارَ عَوابِـــساً ... يَـــومَ الكَريهَـــةِ مـــا يُـــردنَ رُجوعـــا[45]

وفي قصيدته المسماة "بات ليلي بالأنعمين طويلا" يصف فيها حالته وترقبه وموقفه من أعدائه مبينا أنه يرقب النجم ساهرا لأن هذا الليل لن يزول وأن هدفه الوحيد من ذلك هو البطش والتنكيل ببني بكر بن وائل حتى يشفي غليله منهم وأن هناك حاجة في داخل نفسه وفي صدره لن تنقضي ابدا كما يخاطب نفسه بأنه لا ينسى كليبا أبدا وأن الحزن مسيطر عليه وقريب منه كما يخاطب قلبه أن ينجز اليوم الحقد والثأر علي الأعداد حتي يقضي عليهم جميعا بالطعن والاستمرارية فيه فيقول (من الخفيف):

بـــاتَ لَيلـــي بِـــالأَنعَمَينِ طَـــويلا ... أَرقُـــبُ الـــنَجمَ ســـاهِراً لَـــن يَـــزولا
كَيـــفَ أُمـــدِ وَلا يَـــزالُ قَتيـــلٌ ... مِـــن بَـــني وائِـــلٍ يُنـــادي قَتـــيلا
أَزجُـــرُ العَـــينَ أَن تُبَكّـــي الطُلـــولا ... إِنَّ في الـــصَدرِ مِـــن كُلَيـــبٍ غَلـــيلا
إِنَّ في الـــصَدرِ حاجَـــةً لَـــن تُقَـــضّى ... مـــا دَعـــا في الغُـــصونِ داعٍ هَـــديلا
كَيـــفَ أَنـــساكَ يـــا كُلَيـــبُ وَلَمّـــا ... أَقـــضِ حُزنـــاً يَنـــوبُني وَغَلـــيلا
أَيُّهـــا القَلـــبُ أَنجِـــزِ اليَـــومَ نَحبـــاً ... مِـــن بَـــني الحِـــصنِ إِذ غَـــدَوا وَذُحـــولا
كَيـــفَ يَبكـــي الطُلـــولَ مَـــن هُـــوَ رَهـــنٌ ... بِطِعـــانِ الأَنـــامِ جـــيلاً فَجـــيلا
أَنبَـــضوا مَعجِـــسَ القِـــسِيِّ وَأَبـــرَقَ ... نـــا كَمـــا توعِـــدُ الفُحـــولُ الفُحـــولا
وَصَـــبَرنا تَحـــتَ البَـــوارِقِ حَتّـــى ... رَحَـــدَت فـــيهِمِ الـــسُيوفُ طَـــويلا
لَـــم يُطيقـــوا أَن يَنزِلـــوا وَنَزَلنـــا ... وَأَخـــو الحَـــربِ مَـــن أَطـــاقَ النُـــزولا[46]

(45)الديوان، ص ٤٨-٤٩.
(46)الديوان، ص ٦٢-٦٣.

هنا نري حالته وطبيعته بذكره أنه يتوعد الفحول والفحول من بني بكر وان السيوف اللامعة هزمت قوة الأعداء وأنهم لم يطيقوا أن ينزلوا إلي الميدان. وله قصيدة بعنوان "لم يعدلوا".

وتسمي هذه القصيدة الداهية وهي إحدي القصائد السبع المعروفة بالمقتنيات قالها بعد يوم واردات وقيل يوم القصيبات وقد ظفرت تغلب فيه وكثر القتل في بكر وكاد جساس يؤخذ في المعركة ولكنه فر إلى الشام فسلم وقتل في هذا اليوم الشعثمان ابنا معاوية وعمرو بن سدوس الذهلي وهمام بن مرة أخو جساس ونديم المهلهل وأسر المرقش الأكبر لكن المهلهل أطلقه وقد ذكر المهلهل في هذه القصيدة كليبا وعذر بني شيبان وحرض قومه علي متابعة القتال[٤٧]".

هذا ، ويبين في هذه القصيدة أن بني بكر جارت بقتلها كليبا وهم في ذلك لم يعدلوا ولم يعرفوا نتيجة ذلك وأنهم بغاة بفعلهم ذلك مصيبة علي القوم فهم لم يدركوا الطريق الصحيح لرد المظالم كما يخاطب جساسًا بعد ذلك مبينا أن علي الباغي تدور الدوائر وأن الظلم يحيق بأهله وأن فعله أشبه بمن يلقي بأمتعته في هاوية لا قرار لها ولا سبيل للوصول إلي قعرها وهو يلقي بنفسه وبقومه إلي التهلكة وشبه فعل جساس هذا بمن يركب البحر ولا يعرف السباحة فإن مصيره الغرق فيقول (من السريع):

جـــارَت بَنـــو بَكـــرٍ وَلَـــم يَعـــدِلوا ... وَالمَـــرءُ قَـــد يَعـــرِفُ قَـــصدَ الطَريـــق
حَلَّـــت رِكـــابُ البَغـــيِ مِـــن وائِـــلٍ ... في رَهـــطِ جَـــسّاسٍ ثِقـــالِ الوُســـوق
يـــا أَيُّهـــا الجـــاني عَلـــى قَومِـــهِ ... مـــا لَـــم يَكُـــن كـــانَ لَـــهُ بِـــالخَليق
جِنايَـــةً لَـــم يَـــدرِ مـــا كُنهُهـــا ... جـــانٍ وَلَـــم يُـــضحِ لَهـــا بِـــالمُطيق
كَقـــاذِفٍ يَومـــاً بِأَجرامِـــهِ ... في هُـــوَّةٍ لَـــيسَ لَهـــا مِـــن طَريـــق
مَـــن شـــاءَ وَلّـــى الـــنَفسَ في مَهمَـــهٍ ... ضَـــنكٍ وَلَكِـــن مَـــن لَـــهُ بِالمَـــضيق
إِنَّ رُكـــوبَ البَحـــرِ مـــا لَـــم يَكُـــن ... ذا مَـــصدَرٍ مِـــن تَهلِكـــاتِ الغَريـــق
لَـــيسَ لِمَـــن لَـــم يَعـــدُ في بَغيِـــهِ ... عِدايَـــةً تَخريـــقُ ريـــحٍ خَريـــق

(47) الديوان، مقدمة القصيدة، ص ٥٢.

كَمَـــــن تَعَـــــدَّى بَغيُـــــهُ قَومَـــــهُ طَـــــارَ إلى رَبِّ اللِـــــواءِ الخَفَـــــوق[٤٨]

يخاطب بني بكر بعد ذلك أن كليبا لم يكن سيدا عاديا في قومة بل كان ملكا عليهم ولذلك انقادوا له محبة واعترافا بجميله عليهم ويخطابهم ان يسنوا الأسلحة ويعدوا العدة وأن يصقلوا سيوفهم بلا شفقة كذبح المرء للشاه لأنها لا تدفع نفسها أمام ذابحها إلا بسيل دم عروقها.

ويخاطبهم أيضا بأن الحرب لابد أن تقع بيننا وبينكم قريبا وستُسْقي رماحنا من دماء حمراء صافية وهي دماؤكم وستنزل الحرب بأبطال اعتادوا الغارات صباحا بكل شجاعة وإقدام وهم يمتطون صهوات خيل أصيلة وأن هذه الخيل تحمل فرسانا من قبيلتنا شبانا مغاوير أشبه بالغيلان أو الوحوش الكاسرة التي تقطع الطريق فيقول (من السريع):

إن نَحـــنُ لَـــم نَثـــأَر بِـــهِ فَاشـــحَذوا شِـــفارَكُم مِنّـــا لَحِـــزِّ الحُلـــوق
ذَبحـــاً كَـــذَبحِ الـــشاةِ لا تَتَّقـــي ذابِحُهـــا إِلّـــا بِـــشَخبِ العُـــروق
أَصـــبَحَ مـــا بَـــينَ بَـــني وائِـــلٍ مُنقَطِـــعَ الحَبـــلِ بَعيـــدَ الـــصَديق
غَـــداً نُـــساقي فَـــاعلَموا بَينَنـــا أَرماحَنـــا مِـــن عاتِـــكٍ كَـــالرَحيق
مِـــن كُـــلِّ مَغـــوارِ الـــضُحى بُهمَـــةٍ شَـــمَردَلٍ مِـــن فَـــوقِ طِـــرفٍ عَتيـــق
سَـــعالِيا تَحمِـــلُ مِـــن تَغلِـــبٍ أَشـــباهَ جِـــنٍّ كَلُيـــوثِ الطَريـــق
لَـــيسَ أَخـــوكُم تارِكـــاً وِتـــرَهُ دونَ تَقَـــضّي وِتـــرُهُ بِـــالمُفيق[٤٩]

هذه هي صورة الانتظار والترقب عند المهلهل بن ربيعة والتي جاءت متوائمة مع ظروفه بعد مقتل أخيه كليب ففيها الثأر والهم ، فيها موقف وقوة القوم، فيها ذكره لأدوات الحرب، فيها العقاب الشديد لبني بكر وأن فعلتهم هذه لا تغتفر. ومن يقف أمام الديوان فإنه يجد أن الديوان بأكمله فيه انتظار وترقب في جانب واحد وهو الحصول علي ثأر أخيه والهم الذي كان ملازما له في ذلك.

(48) الديوان، ص ٥٢-٥٣.

49) الديوان، ص ٥٦-٥٧.

"وحقًا فإن شعر المهلهل يظهر لنا جلل المصيبة التي ألمت به بعد مقتل كليب وقد تعنت في موقفه من بكر ومحاولاتها إعادة الوئام بين القبيلتين الأختين ورفض كل محاولة بذلتها بكر بإصرار عنيف أشبه ما يكون بالتعجيز بل هو التعجيز المحال نفسه(٥٠)".

وقد قال في هذا الموقف بينتين شهيرين من (الرمل) هما:

يا لِبَكرٍ أَنشِروا لي كُلَيباً يا لِبَكرٍ أَينَ أَينَ الفِرارُ

يا لِبَكرٍ فَاظعُنوا أَو فَحِلّوا صَرَّحَ الشَرُّ وَبانَ السَرارُ(٥١)

المحور الثاني: ظاهرة الانتظار والترقب عند امرئ القيس:

إن شاعرا ما كامرئ القيس لحري بنا أن نقف أمام هذه الظاهرة عنده نتيجة ما تميز به من ابداعات شعرية متميزة رأيناها من خلال ديوانه الشعري فكان متعدد الأغراض طوال حياته التي عاشها.

"وقد سبق العرب الي أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته فيها الشعراء:

استيقاف صحبه والتّبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ وشبّه النساء بالظباء والبيْض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي وقيد الأوابد وأجاد في التشبيه وفصل بين النسيب وبين المعني(٥٢)"

"وامرؤ القيس مقدم علي الشعراء فقد شهد له لبيد بين ربيعة وهو من أصحاب المعلقات حيث يقول أشهر الناس ذو القروح(٥٣)"

وشهد له عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال فيه : "سابق الشعراء خسف لهم عَيْن الشعر(٥٤)"

(50) خليل أبو ذياب، الأدب الجاهلي، ص ٢٥٣.

(51) الديوان، ص ٣٥.

(52) محمد بن سلام الجمحي، طبقات محول الشعراء، "السفر الأول" دار المدني بجده السعودية، تحقيق أبو فهر محمود شاكر، ص ٨٤.

(53) ابن قتيبه، الشعر والشعراء، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦، تحقيق محمود شاكر، ص ١٠٥.

(54)السابق, ص ١٢٥.

"نشأ امرؤ القيس نجديا وإن كان يمانيا ترعرع في بني أسد من صميم العرب الخلص فسمع الأشعار ورواها وتطلعت نفسه إلي مساجلة الشعراء فقال الشعر علي حداثة سنه وكان جزل الألفاظ كثير الغريب جيد السبك سريع الخاطر بديع الخيال صادق التشبيه وقد فتقت الأشعار والأخطار والمخالطة قريحته فاستنبط المعاني الجيدة ونهج المذاهب الحديثة وارتسمت في شعره محدثات عصره فنسب إليه لتفوقه وجاهه فقالوا إنه أوّل من وقف علي الأطلال وبكي الديار وشبب بالنساء وشبههم بالمها والظباء وأجاد في وصف الليل لإدمان ركوبه وكثرة أسفاره وأنك لتجد في شعره صورة كاملة من حياته وخلقه ففيه عزة الملوك وتبذّل الصعلوك وعربدة الماجن وحمية الثائر وشكوي الموتور وذلة الشريد وهو بإجماع الرواة زعيم الجاهلين[٥٥]"

وهو من أقدم الشعراء الذين يروي لهم شعر كثير يتحدث الرواة بأخبار كثيرة فيها تطويل وتفصيل[٥٦]"

إن الناظر في هذه الظاهرة عند امرئ القيس فإنه يري أنها متعددة عنده نتيجة الظروف والمواقف التي مر بها في حياته ونتيجة مواقفه المتعددة التي منها:

١- المحبوبة.

٢- الموت.

٣- العدو.

٤- المكان.

٥- النهار.

(55) عبد الحميد شيحة، مدخل الي دراسة الشعر الجاهلي، دار النصر للطباعة والنشر، مصر، د.ت، ص ١٤٧-١٤٨.

(56) طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط١٦، د.ت، ص ١٩٥.

وسنقف أمام كل ظاهرة من هذه الظواهر السابقة لمعرفة وجودها عند امرئ القيس، من عدمه وكذلك معرفة الفرق بينه وبين الشاعريين اللذين سبقاه في هذه الظاهرة.

١- انتظار المرأة أو المحبوبة:

ظاهرة الحب من الظواهر التي كانت ملائمة للشعراء في العصر الجاهلي وقد وصفها كل منهم حسب رؤيته للمرأة وللمحبوبة، فكان الغزل منتشرا عند هؤلاء الشعراء.

وقد رصد الدكتور محمد عبد المطلب نساء امرئ القيس وذكرهن في ديوانه علي النحو التالي:

"سلمي تسع مرات، هند ست مرات، هر أربع مرات، سعاد أربع مرات، عنيزة ثلاث مرات، فرتني ثلاث مرات، ليلي ثلاث مرات، بسباسه مرتان، الرباب مرتان، ماوية مرتان،

أما بقية الأسماء فقد وردت مرة واحدة، وهن:

الخنساء، أسماء، سلامة، قدور، فاطمة، لميس، أم جندب، أم هاشم، أم عمرو، أم الحويرث، أم الرباب، رقاش"[٥٧] .

أما الدكتور الطاهر مكي، فقد صنف بعضا من هؤلاء النساء كل حسب صفاتهن بقوله:

"ونساء امرئ القيس لسن طرازا واحدا في أخلاقهن ففاطمة مغرورة، وليلي ناسية ناكره، وعنيزة متمنعة مستجيبة، وأسماء حُوّل قُلّب ، وسلمي غِرّة نافرة، وماوية خبيثة ماكرة، وهر لعوب مستجيبة، ورقاش معترضة باذلة وأخريات كثيرات لا يذكر أسماءهن فيهن الساخطة المحتجبة،

57 قراءة ثانية في شعر امرئ القيس, دار نوبار للطباعة, مصر, ١٩٩٦, ص٧٣.

والساذجة العاقلة، والخائفة المتكبرة ومن تقصر حبها علي رجل ومن تهب نفسها للناس جميعا وصورها رقيقة الحديث هامسة الحوار(٥٨)"

وهو لم يكتف بذلك بل هناك كثير من النساء اللاتي تحدث عنهن من خلال مغامراته معهن.

"ويلاحظ أن امرأ القيس إذا ألم بحبهن ولو استطاعوا قتلوه ومن لا يمثل زوجها ثقلا في البادية من العسفاء أو الرقيق أو غمار الناس يأتيها امرؤ القيس ولا يقيم لزوجها وزنًا، وهناك الحامل والمرضع والشابة الفتية والصبية المراهقة والحرة والجارية وبائعة الهوي ليس من حرج أن يلم في دارها وإنما الحرج كله فيما يصيب المرء بعدها من تهلكة جاء بعد ذلك شعره عرضًا ومتناثرًا ولكل امرأة صفة لا تتجاوزها أما نصيب المرأة الواحدة من مشاعر متباينه حين ترضي أو تغضب أو تسر أو تحزن وحين تخلص وتفي أو تتنكر وتخون فلا يعرض له وهو يفضل تماما الحديث عن عقل المرأة وفضائلها النفسية وجمالها غير المرئي(٥٩)".

وقد كان متفردا عن أقرانه الشعراء الذين عاصروه في هذا الجانب نتيجة المجون الذي تميز به.

"وتمثل المرأة في ديوان امرئ القيس عنصرًا بالغ الأهمية لا لحديث الشاعر عنها ورصد علاقته بها فحسب بل إن النظر التكويني للديوان يدل علي أنها احتلت مساحة واسعة فيه(٦٠)"

وهذا دليل علي أن هذا العصر قد شغلت المرأة مساحة كبيرة عند الشعراء الجاهليين بصفة عامة، وامرئ القيس بصفة خاصة.

---

(58) الطاهر أحمد مكي، أمرؤ القيس حياته وشعره، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٨٥، ص١٩٤.

(59)السابق، ص١٩٤.

(60) محمد عبد المطلب، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، دار نوبار للطباعة، مصر، ١٩٩٦، ص٧٢.

ويعد غزل امرئ القيس بالمرأة في معلقته من النوع الصريح، فحبه الذي يبديه يدفعه إلى المرأة الصديقة أكثر مما يدفعه إلى محبوبة يخلص لها ويفني في حبها وأكثر همه في الحياة أن يكون محبوبًا بل مدللا من المرأة وليست معلقته في قسمها الأكبر سوى تصوير لهذا التدليل الذي مضي يسرد أقاصيصه في إعجاب بنفسه وان صدت عنه فاطمة فهناك غيرها كثيرات فهناك أم الحويرث وجارتها أم الرباب وهناك صاحبات دارة جلجل وهناك العذارى اللاتي عقر لهن ناقته وهناك عنيزة وهناك بيضة الخدر وهناك المتزوجات اللاتي كان يدعي أنهن يحببنه حتى ليشغلن حبيباتهن ذوي التمائم(٦١)"

وكذلك لهوه ومجونه وطبيعة مواقفه هي التي جعلت منه أن ينتظر ويترقب لهذه المحبوبة وحتى جاءت لنا وكذلك تري صورة الغزل المكشوف الذي ذكره مع فاطمة مبرزًا ضعفه وتذلله وكذلك وصوله إلي البيضة الخدر وهي المرأة الرقيقة البيضاء في حياتها والتي تمتع معها مرات ومرات وأنه تجاوز حراسها وذهب إليها فيقول من الطويل:

أَفاطِمَ مَهلاً بَعضَ هَذا التَدَلُّلِ ... وَإِن كُنتِ قَد أَزمَعتِ صَرمي فَأَجمِلي
وَإِن كُنْتِ قَد ساءَتكِ مِنّي خليقَةٌ ... فَسُلّي ثِيابي مِن ثِيابِكِ تَنسُلِ
أَغَرَّكِ مِنّي أَنَّ حُبَّكِ قاتِلي ... وَأَنَّكِ مَهما تَأمُري القَلبَ يَفعَلِ
وَما ذَرَفَت عَيناكِ إِلّا لِتَقْدَحي ... بِسَهمَيكِ في أَعشارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ
وَبَيضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها ... تَمَتَّعتُ مِن لَهوٍ بِها غَيرَ مُعجَلِ
تَجاوَزتُ أَحراساً وَأَهوالَ مَعشَرٍ ... عَلَيَّ حِراصٍ لَو يُسِرّونَ مَقتَلي
إِذا ما الثُرَيّا في السَماءِ تَعَرَّضَت ... تَعَرُّضَ أَثناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ
فَجِئتُ وَقَد نَضَّت لِنَومٍ ثِيابَها ... لَدى السِترِ إِلّا لِبسَةَ المُتَفَضِّلِ
فَقالَت يَمينَ اللَهِ ما لَكَ حيلَةٌ ... وَما إِن أَرى عَنكَ العمايَةَ تَنجَلي

(61) محمد عبد القادر أحمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص٣٢٤.

خَرَجــتُ بِهــا أَمــشي تَجُــرُّ وَراءَنــا عَلــى أَثَرَينــا ذَيــلَ مِــرطٍ مُرَحَّــلِ[٦٢]

"لكن امرأ القيس يري غير ما يرون ان الدمع يغسل القلب ويأسو الجرح ويهدهد من ثورة الحنين ويحل مغالق النفس ولقد وجد فيه شفاء ثم تساءل ماذا يجديه أن يقف بتلك الديار ذهب أغلبها واستعصي علي الفناء بعضها هل تملك أن ترد عليه حبيبا أو تعيد له ماضيا أو تنسيه تاريخا".

ليست الأولي فيمن عرف وأحب وليس المكان هو الوحيد فيما فارق واليه عاد والحياة كلها ألوان من المفارقات ومن قبلها ذهبت أم الحويرث وجارتها أم الرباب وكان فيهما جمال ترف يتطيبان بالمسك علي وفرة فحينما ذهبتا انتشر عنها وأشاع رائحته الطيبة في كل جانب كنسيم الصبا مر ببستان غاص بزهور القرنفل فحمل معها كثيرا من رائحتها الذكية مرت بذاكرته الأحداث كلها والأسى يحول المشاعر والحنين يثير الشجن ومعها بلغ إحساسه بالحزن غايته فجري دمعه قويا غزيرا أغرق نحره وبل محملة سيفه[٦٣]"

وهو يتجول في عالمه ذاكرا المرأة هذه مبرزا هذا الموقف وفي ذلك رصد للحركة لان طيب الرائحة تظهر من خلال حركة المرأة وسيرها فيقول (من الطويل):

كــدينك مِــن أُمِّ الحُــوَيرثِ قَبلَهــا وَجارَتِهــا أُمِّ الرَبــابِ بِمَأسَــلِ

إِذا التفتــتْ نحــوي تــضوَّع ريحهــا نَــسيمَ الــصَبا جــاءَت بِــريحِ القرنفــلِ

وهناك صورة أخري عند امرئ القيس فيها عدة جوانب كالدموع وانصبا بها وكأنها نهر صغير وهو يسأل عن ليلي وآل ليلي وعما أبعدها لعلها لا تطلبه ولكنه يقطع الأرض والقفار بناقته المتميزة والمتفردة السمات ولكن دون جدوى من ذلك وأن الرجال قد أشقاهم النساء فهم يقتلون، أما النساء والصبيان لا يقتلون بل يسبون فيقول من (مخلع البسيط):

عينــاك دمعُهــا سِــجالُ كــأن شــأنيهما أوشــال

(62) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط٤،ص١٣،١٢,د.ت.

(63) الطاهر مكي، امرؤ القيس حياته وشعره، ص ١٦٠- ١٦١.

أو جـــــدولٌ في ظـــــلال نخـــــل ... للمـــــاء مـــــن تحتـــــه مَجـــــالُ
مـــــن آل ليلـــــي وأيـــــن ليلـــــي ... وخـــــيرُ مـــــا رمـــــتَ مـــــا يُنـــــال
قـــــد أقطـــــعُ الأرض وهْـــــي قفـــــرٌ ... وصـــــاحبي بـــــازلٌ شِـــــمْلال
ناعمـــــةٌ نـــــائمٌ أبْجَلُهـــــا ... كـــــأن حاركَهـــــا أُثـــــال
كأنَّهـــــا مفـــــردٌ شـــــبوبٌ ... تلفّـــــه الـــــريحُ والطّـــــلال
أو أنهـــــا عنـــــزُ بطـــــنِ وادٍ ... تعـــــدو وقـــــد أُفـــــرِد الغـــــزال
عـــــدْوًا تـــــري بينـــــه أبواعًـــــا ... تحفِـــــزه أكـــــرُعٌ عِجـــــالُ
وغـــــائطٍ قـــــد قطعـــــتُ وحـــــدي ... للقلـــــب مـــــن خوفـــــه إجْـــــلالُ
صـــــاب عليـــــه ربيـــــعٌ بـــــاكرٌ ... كـــــأنّ قُرْيانـــــه الرِّحـــــالُ
تقـــــدُمني نهـــــدةٌ ســـــبوحٌ ... صَـــــلَّبَها العُـــــضُّ والحِيـــــالُ
كأنهـــــا لِقـــــوةٌ طلـــــوبٌ ... كـــــأن خُرطومَهـــــا مِنْـــــشالُ
تُطْعِـــــمُ فرْخًـــــا ســـــاغبًا ... أضـــــرّ بـــــه الجـــــوعُ والإحْثـــــالُ
قلـــــوبَ خِـــــزَّانَ ذي أوْرالٍ ... قوتـــــا كمـــــا يـــــرزَقُ العِيـــــال
وغـــــارةٍ قـــــد تلبَّبـــــت بهـــــا ... كـــــأن أســـــرابَها الرِّعـــــال
كـــــأنهم حَرْشَـــــفٌ مبثـــــوثٌ ... بـــــالجو إذتـــــبرقُ النعـــــال
صـــــبَّحْتها الحـــــيَّ في غـــــداةٍ ... فكـــــان أشـــــقاهُمُ الرّجـــــالُ[٦٤]

هذه هي صورة الانتظار والترقب للمرأة عند امرئ القيس والتي رأينا فيها المرأة بسماتها المتعددة في كل ما كان يراه كما رأينا جرأته في حديثه عنها وفي كل نري اللهو والمجبون مسيطرين عليه.

"وأن اتجاهه إلي المرأة يمثل موقفا ثابتا ومسلكا له استمرارية وبمعني آخر نقول إنه جزء أصيل من تكوين شخصيته فهو إنسان يملك تيارا متدفقا من المشاعر والرغبات ولا يمكن أن يلقي بها في الطريق يتلقفها السائرون فيه، بل هو يلقي بها علي نحو مخصوص و إلي أشخاص مخصوصين ومن

(64) الديوان، ص ١٨٩– ١٩٣.

هنا كان لابد من التحرك داخل إطار كلي تتحدد فيه أبعاد الشخص الذي يستحق هذه المشاعر؛ لأن انتقاد هذه الأبعاد يقضي بالضرورة ارتداد المشاعر في حركة عكسية قد تدفع صاحبها إلي الانطواء وهي شئ كان بعيدا عن امرئ القيس[٦٥]".

إن ظاهرة انتظار ترقب المرأة عند امرئ القيس كانت ظاهرة خالية من الزوجة أو الأم وكانت عاطفة المرأة والعاشقة أو المحبوبة وهي عاطفة تخلو من الحنان والحب المتواجد بين الزوجين ودليل ذلك كثرة النساء اللاتي رأينا ذكرهن من خلال أشعاره فرأينا الحبلى والمرضعة ورأينا المتزوجة التي تمتع معها مرات ومرات ورأينا يوم دارة جلجل يوم أن أخذ ملابس الفتيات وجري بها بعيدا وأقسم ألا يعطيها لهن بعد أن تأتيه كل واحدة منهن مقبلة مدبرة ورأينا أم جندب التي اتهمها في شرفها حينما حكمت لعلقمة بالشاعرية.

٢- انتظار وترقب الموت:

عرف القدامي الجاهليون الموت كما عرفوه بصور مختلفة علي هيئة مراثٍ وغيرها.

"وظل عقل الشاعر الجاهلي مشغولا بمشكلة الموت التي تتجسد أمامه في الأطلال التي كانت في الماضي دارا بغمرها الحياة والأحياء[٦٦]"

"ولقد أحس الجاهلي إحساسا قويا بالموت وحتمية وقوعه ورأي تلاعب القدر به وتغلب صرفه عليه في هذه الحياة المحددة الفانية، وسبب هذا الإحساس زائد الحدة يعود لقوة الطبيعة عليه واصطدام النظام الاقتصادي الذي يعتمد علي المطر القليل النزول في مناخ صحراوي وقيام المجتمع علي

(65) محمد عبد المطلب، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، ص ١٤٦.

(66) مصطفي ناصف، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص ٢٣٨.

وحدة القبيلة وتناصر القبائل في سبيل الاستيلاء علي الماء النزر والمرعي السريع الفناء(٦٧)"

وإذا تتبعنا الشعر الجاهلي فإننا نكاد نجد اتفاقا في الرؤية عند الجاهلين من حيث إن الموت والفناء نهاية كل شئ مهما طالت به الحياة فالموت عندهم حقيقة يقرون بسلطانه وهو كأس دائرة علي الجميع ولا مرد لحكم القضاء(٦٨)"

"وامرؤ القيس يري الحياة مهزلة عابثة يسرع الناس فيها لتمثيل أدوارهم ويتسابقون لإفناء أعمارهم مخدوعين بالمتع الزائفة من طعام وشراب بينما غيبت عنهم نهايات هذه المهزلة متى يسدل الستار؟ متى ينتهي العمر؟ متى يبصر الإنسان ما وراء الغيب؟ لقد خدع الإنسان عند هذه الأسئلة بسمر الطعام والشراب وغفل عن نهايته الأليمة كما غفل عن حقيقته في هذه الحياة فهو علي الرغم من تظاهرات القوة والبطش ضعيف كالعصافير صغير كالذباب والدود وهو علي الرغم من تظاهرات النبل والخير أجرأ من الذئاب المفترسة في ارتكاب الشر(٦٩)"

أما امرؤ القيس فكان للموت عنده مواقف متعددة في حياته نتيجة ظروفه التي عاشها ومواقفه التي مر بها.

ويحدثنا مبينا أن الدهر غول وأن الحياة فاسدة وكل شئ لابد أن يدرك الموت مهما طالت الحياة أو قصرت وأنشب الدهر مخالبه علي كثير من الملوك وكذلك والده وجده ويخاطب نفسه قائلا (من الوافر):

ألم يحزنْـــك أن الـــدهرَ غـــولٌ ختـــورُ العهـــدِ يلـــتهمُ الرجـــالا
أزال مـــن المـــصانع ذا نُـــوَاسٍ وقـــد ملـــك الحُزُوَنَـــة والرّمـــالا

(67) إسماعيل أحمد العالم، دراسات في الشعر العربي، ص ٣١.
(68)إسماعيل أحمد العالم، دراسات في الشعر العربي، هبة النيل للطباعة والنشر، مصر، د.ت، ص ٣١.
(69) سعد دعبيس، تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي، دار الثقافة، القاهرة، د.ت، ص ٢٧٥.

وأنْـــشَبَ في المخالـــب ذا خليـــلٍ ... وللـــزِّرَّادِ قـــد نَـــصَبَ الحبـــالا
وفجَّـــعَ كِنْـــدةَ الأخيـــارَ طُـــرًا ... بعمْـــرٍو واصـــطفي حُجْـــرًا فـــزالا
وبينـــا كـــان في الأحيـــاء طـــوْرًا ... رمـــاه الـــدهرُ مـــن كثـــبٍ فمـــالاَ
أَبَعْـــدَ شُـــتُوءةَ الأبطـــال أرجـــو ... لَبـــانَ العـــيْشِ أو أبْغـــي احتيـــالا
فـــإن تـــكُ دارُ آلِ الأزدِ زالـــتْ ... فكـــلُّ النـــاسِ ينتظـــرُ الـــزّوالا
وإن تهلِـــكْ شُـــنوءةَ أو تبَـــدلْ ... فـــسيري إنّ في غـــسان خـــالا
بعـــزّهِمُ عـــززْتَ وإن يـــذلُّوا ... فـــذلُّهُمُ أنـــا لَـــكَ مـــا أنـــا لاَ[٧٠]

وهناك موقف آخر حول هذه الظاهرة عند امرئ القيس تتعلق بحياته وهذا الموقف قريب إلي نفسه وذلك عند مقتل والده حينما طلب النصرة من القبائل في مساعدته للحصول علي ثأر والده من بني أسد وحينما ذهب إلي قيصر الروم أكرمه ولبي طلبه ولكن حدثت وشاية من شخص من بني أسد وهو الطماح الأسدي لقتله والده فبعث إليه بحُلَّةٍ مسمومة وحينما لبسها تقطع جسده لتعامل السم مع القروح الموجودة في جسده فقال (من الطويل):

وَمـــا خِفـــتُ تَـــبريحَ الحَيـــاةِ كَمـــا أَرى ... تَـــضيقُ ذِراعـــي أَن أَقـــومَ فَأَلْبَـــسا
فَلَـــو أَنَّهـــا نَفـــسٌ تَمـــوتُ جَميعَـــةً ... وَلَكِنَّهـــا نَفـــسٌ تَـــساقَطُ أَنفُـــسا
وَبُـــدِّلتُ قَرحـــاً دامِيـــاً بَعـــدَ صِـــحَّةٍ ... لَعـــلَّ منايانـــا تَحَـــوَّلنَ أَبؤُســـا
لَقَـــد طَمِـــحَ الطَمّـــاحُ مِـــن بُعـــدِ أَرضِـــهِ ... لِيُلبِـــسَني مِـــن دائِـــهِ مـــا تَلَبَّـــسا
أَلا إِنَّ بَعـــدَ العُـــدمِ لِلمَـــرءِ قِنْـــوَةً ... وَبَعـــدَ المَـــشيبِ طـــولَ عُمـــرٍ وَمَلبَـــسا[٧١]

وهناك موقف له أيضا مع قيصر الروم حينما لبس الحلة التي أهديت له نُزل منفردا بأنقرة فقال أنه لو مات بأرضة بين قومه لتعزيت وان الموت حق وهو ليس بمخلد وقال لو مت في أهلي وعلي فراشي لتعزيت،ولكن ما أصابني هذا ببلاد غربة، فكأنه في نفسه مات غير ميتته فيقول (من الوافر):

ألا أبلـــغ بـــني حجـــر بـــن عمـــرو ... وأبلـــغ ذلـــك الحـــيَّ الحَريـــدا

(70) الديوان، ص ٣٠٩- ٣١١.
(71) الديوان، ص ١٠٧- ١٠٨.

بـــأني قـــد بقيـــتُ بقـــاءَ نفـــسٍ ... ولم أُخْلَـــقْ ســـلامًا أو حديـــدا
فلـــو أنـــي هلكـــتُ بـــدار قـــومي ... لقلـــتُ المـــوتُ حـــقٌّ لا خلـــودا
ولكـــني هلكـــتُ بـــأرض قـــومٍ ... بعيـــدٍ مـــن ديـــاركمُ بعيـــدا
أعـــالِجُ ملـــكَ قيْـــصَرَ كـــلَّ يـــومٍ ... وأجْـــدَرَ بالمنيـــةِ أن تعـــودا
بـــأرض الـــروم لا نـــسبٌ قريـــبٌ ... ولا شـــافٍ فَيُـــسْنِدَ أو يعـــودا
ولـــو واقفـــتُهنَّ علـــي أُســـيْسٍ ... ضُـــحَيًّا أو وردْن بنـــا زَرُودا
علـــي قُلُـــصٍ تظـــلَّ مقلَّـــداتٍ ... أَزمَّـــتُهنَّ مـــا يعْـــدِفْنَ عـــودا(٧٢)

هنا ينتظر الموت بأنه يعالج ما أهداه إليه قيصر يعني الحلة المسمومة كل يوم نتيجة تفاعل السم مع القروح ويؤكد ذلك بقوله "أجدر بالمنية أن تعودا"

وله موقف أيضا حينما كتب قصيدة في رثائه قبل أن يموت مبينا أنه كان يخدع باللهو والشراب ونسي الموت، ويحقر من شأنه في الدنيا أنه ضعيف وأشبه بالذباب فيلوم نفسه علي ذلك وأنه كان في غفلة وأن كل شئ لابد له من نهاية في الحياة أين آدم أبو البشر؟ وأين إسماعيلُ الذي اتصلت به عروقه؟ إنهم تحت التراب وإنه لاحق بهم، وأن الموتَ يفنيه فيعود ترابا كما يسأل أين جده عمرو، ووالده حُجر؟ وأنهم علي الرغم من علو شأنهم فإنهم قد ذهبوا وبادوا أي أنه سيموت كما مات هؤلاء فيقول (من الوافر):

أَرانـــا مُوضِـــعينَ لأَمـــرِ غَيـــبٍ ... وَنُـــسحَرُ بِالطَعـــامِ وَبِالـــشَرابِ
عَـــصافيرٌ وَذِبّـــانٌ وَدودٌ ... وَأَجـــرَأُ مِـــن مُجَلَّحَـــةِ الـــذِئابِ
وَكُـــلُّ مَكـــارِمِ الأَخـــلاقِ ... صـــارَت إِلَيـــهِ هِمَّـــتي وَبِـــهِ اِكتِـــسابي
فَـــبَعضَ اللـــومِ عـــاذِلَتي فَـــإِنّي ... سَـــتَكفيني التَجـــارِبُ وَانتِـــسابي
إِلى عِـــرقِ الثَـــرى وَشَـــجَتْ عُروقـــي ... وَهَـــذا المَـــوتُ يَـــسلُبُني شَـــبابي
وَنَفـــسي سَـــوفَ يَـــسلُبُها وَجِرمـــي ... فَـــيُلحِقُني وَشـــيكاً بِـــالتُرابِ
أَلَـــم أُنْـــضِ المَطِـــيَّ بِكُـــلِّ خَـــرْقٍ ... أَمَـــقِّ الطـــولِ لَمّـــاعِ الـــسَرابِ

(72) الديوان، ص ٢١٣– ٢١٤.

وَأَرْكَبُ في اللُّهامِ المَجْرِ حَتّى ... أَنالَ مَآكِلَ القُحَمِ الرِغابِ
وَقَد طَوَّفتُ في الآفاقِ حَتّى ... رَضيتُ مِنَ الغَنيمَةِ بِالإِيابِ
أَبَعدَ الحارِثِ المَلِكِ بنِ عَمروٍ ... وَبَعدَ الخَيرِ حُجرٍ ذي القِبابِ
أُرَجّي مِن صُروفِ الدَهرِ لِيناً ... وَلَم تَغْفُل عَنِ الصُمِّ الهِضابِ
وَأَعلَمُ أَنَّني عَمّا قَليلٍ ... سَأَنْشَبُ في شَبا ظُفُرٍ وَنابِ
كَما لاقى أَبي حُجرٌ وَجَدّي ... وَلا أَنسى قَتيلاً بِالكِلابِ[٧٣]

وقد قال أيضا حينما أدركته الوفاة مقولته الشهيرة:

يا جفنةً مسْحَنْفِرهْ ... وطعنةً مثعنْجرهْ
قد غودرت بأنقرهْ[٧٤]

ومات بأنقرة من بلاد الروم.

وله موقف أخير في انتظاره وترقبه الموت حينما حضرته الوفاة وجلس بجوار قبر وسأل لمن هذا القبر قيل أنه لفتاة فمات ودفن بجوارها في جبل عسيب فقال من الطويل:

أجارتَنا إن المزارَ قريبُ ... وإنّي مقيمٌ ما أقام عَسيبُ
أجارتنا إنا غريبان ها هنا ... وكلُّ غريبٍ للغريب نَسيبُ[٧٥]

وقال أيضا أن عينيه دمعت من الهلاك وأن العين لا تدمع إلا من ذلك وأنه قد رأي أن الشر ليس فيه إلا الهلاك والدمار فيقول (من الطويل):

لقد دمعت عيناي في القَرِّ والقيظ ... وهل تدمَعُ العينانِ إلا من الغَيْظ
فلما رأيت الشرَّ ليس ببارحٍ ... دعوت لنفسي عند ذلك بالفَيْظ[٧٦]

هذه هي صورة انتظار وترقب الموت عند امرئ القيس والتي جاءت متوائمة مع ظروفه ومواقفه التي عاشها طوال حياته ممتزجة بالثأر لوالده و برحلاته إلي بلاد الروم وبحكمه التي بين فيها أن الموت لابد أن يمر به

(73)الديوان، ص ٩٧- ١٠٠.
(74)الديوان، ص٧.
(75) الديوان، ص ٣٥٧.
(76)الديوان، ص ٣٥٧.

الإنسان في حياته مهما طال به الأجل، فدليل ذلك أين ادم، وأين إسماعيل، وأين والده، وأين أجداده، وأين الملوك؟.

٣- انتظار وترقب العدو:

تميزت الحياة العربية في العصر الجاهلي بإبراز الشجاعة والقوة فكان الجاهلي يبرز شجاعة عدوه وقوته وكان لا يقاتل عدوه علي غِرَّة.

"ومفخرة العربي حليته وشجاعته يلبسها وتلبسه سواءً كان غنيا أم فقيرًا ، ذا قبيلة أم وحيدا وذلك أن أهل البادية منفردون عن المجتمع بعيدون عن الحامية، يعيشون في العراء غير محتمين بأسوار أو جدران أو أبواب، فهم يقومون بالدفاع عن أنفسهم لا يكلونه إلي سواهم يحملون السلاح دائما ويلتفتون عن كل جانب، ويتجافون عن الهجوم، ويتوجسون للنبآت والهبات".

وينفردون في البيداء مدلين ببأسهم وثقة بنفوسهم وقد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية(٧٧)"

وشجاعة امرئ القيس وترقبه للعدو تبرز عنده في قوته أو قتله أو الفتك به طالما السيف المشرفي بيده فهو صاحب أسنان زرقاء كأنياب الغول فيقول من الطويل:

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ(٧٨)

وله العديد من المواقف في انتظار ثأر والده من بني أسد حينما بلغه الخبر أنها قتلت أباه وأن والده الشريف سيد القوم ومليكهم وهو خير بني معدٍّ وهو يحقر من بني أسد، ويبرز قوة عناده وعدته من خيل ورماح وغيرها فيقول (من الرجز):

واللهِ لا يَذهَبُ شَيخي باطِلا
حَتّى أُبيرَ مالِكاً وَكاهِلا

(77) أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، العجالة، مصر ١٣٦٩هـ- ١٩٤٦م، ص ٢٥٤.
(78) الديوان ، ص ٣٣.

القـــــاتِلينَ المَلـــــكَ الحُلاحِـــــلا
خَـــيرَ مَعَـــدٍّ حَـــسَباً وَنـــائِلا
يـــا لَهـــفَ هِنـــدٍ إِذ خَطِـــئنَ كـــاهِلا
نَحـــنُ جَلَبنـــا القُـــرَّحَ القَـــوافِلا
يَحمِلْنَنـــا وَالأَســـلَ النَـــواهِلا
مُـــستَفْرِماتٍ بِالحَـــصى جَـــوافِلا
تَـــسْتَنْفِرُ الأَوَاخِـــرُ الأَوائِـــلا[٧٩]

وله موقف آخر يوضح فيه أن بني أسد هم عبيد العصا، أي لا يعطون إلا علي الضرب والإذلال وأن عينيه قرت من قتله لبني أسد كما ذكر أماكنهم وأحياءهم وقد حلت له الخمر بعد أن قتل منهم ما قتل فيقول (من السريع):

يـــا دارَ ماوِيَّـــةَ بِالحائِـــلِ ... فَالـــسَّهْبِ فَـــالخَبْتَينِ مِـــن عاقِـــلِ
صَـــمَّ صَـــداها وَعَفَـــا رَسمُهـــا ... وَاســـتَعجَمَت عَـــن مَنطِـــقِ الـــسائِلِ
قُـــولا لِـــدودانَ عَبيـــدِ العَـــصا ... مـــا غَـــرَّكُم بِالأَســـدِ الباسِـــلِ
قَـــد قَـــرَّتِ العَينـــانِ مِـــن مالِـــكٍ ... وَمِـــن بَـــني عَمـــروٍ وَمِـــن كاهِـــلِ
وَمِـــن بَـــني غَـــنمِ بـــنِ دُودانَ إِذ ... نَقـــذِفُ أَعلاهُـــمْ عَلـــى الـــسافِلِ
نَطعَـــنُهُم سُـــلكى وَمَخلوجَـــةً ... كَفْتَّـــكَ لأَمَـــينِ عَلـــى نابِـــلِ
إِذ هُـــنَّ أَقـــساطٌ كَرِجـــلِ الـــدَبى ... أَو كَقَطـــا كاظِمَـــةَ الناهِـــلِ
حَتّـــى تَرَكنـــاهُم لَـــدى مَعـــرَكٍ ... أَرْجُلُهُـــمْ كَالخَـــشَبِ الـــشائِلِ
حَلَّـــت لِـــيَ الخَمـــرُ وَكُنـــتُ اِمـــرَأً ... عَـــن شُـــربِها في شُـــغُلٍ شـــاغِلِ
فَـــاليَومَ أُســـقى غَـــيرَ مُـــستَحقِبٍ ... إِثمـــاً مِـــنَ اللَـــهِ وَلا واغِـــلِ[٨٠]

وله موقف آخر حينما غزا بني أسد فأخطأهم وأوقع ببني كنانة، وهو لا يدري أن غزوه كان الشفاء الذي يريده، فهو وضع السلاح في بني كنانة، ويري أنهم بنو أسد فتلهف ألا يكون أدرك في بني أسد فيقول من الوافر:

(79) الديوان ص ١٣٤-١٣٥.
(80) الديوان ص ١١٩- ١٢٢.

أَلا يـــا لَهـــفَ هِنـــدٍ إِثـــرَ قَـــومٍ هُـــمُ كـــانوا الـــشِفاءَ فَلَـــم يُـــصابوا
وَقَـــاهُم جَـــدُّهُم بِـــبَني أَبـــيهِم وَبِالأَشـــقَينَ مـــا كـــانَ العِقـــابُ
وَأَفلَـــتَهُنَّ عِلبـــاءٌ جَريـــضاً وَلَـــو أَدرَكْنَـــهُ صَـــفِرَ الوِطـــابُ[٨١]

وهناك صورة أخري نري ترقبه وانتظاره للعدو، يتحدث فيها أولا عن مكانته ولهوه وحوادثه الكثيرة التي تنسي الفرد وكان يمضي في ذلك مبينا عزته ومكانته، وانه نادم الملوك وخاصة قيصر لمكانته التي تميز بها وإذا تزاحم في طريق، كان له السبق دائما فهو مستعد للحرب بأدواتها، ويسبب الروع للعدو ويخاطب صاحبه أن صورة النار التي يسببها الحرب أشبه بصورة البرق.

"الذي تخيله بمصباح راهب يضئ الظلام فوفق في هذا الخيال لأن البرق يومض في ظلام الليل وظلمات السحاب، كما يومض المصباح المعلق في الصومعة من بعيد في ظلمات الليل، والريح تهزه فيبدو ضوءه تارة ويختفي تارة آخري[٨٢]"

ويخاطب الكماة بالطعن لقتال الأعداء في حصونهم فيقول من المتقارب:

فـــان يـــك دهـــرٌ أتـــي دونـــه حـــوادثُ تُنـــسي الحيـــاءَ الجليـــدا
فقـــد كنـــت فيمـــا مـــضي مُـــصْعبًا أَبِـــيَّ الخِطـــام عزيـــزا مَريـــدا
ونادمـــــتُ قيـــــصرَ في ملكـــــه فـــــأوْجهني وركبـــــتُ البريـــــدا
إذا مـــا ازدْحمنـــا علـــي ســـكَّةٍ ســـبقتُ الفُرانِـــقَ ســـبقا بعيـــدا
وقـــد أتمنـــى فـــألقي المـــني وقـــد يـــصبح الليـــلُ عنـــدي حميـــدا
وألـــبس للحـــرب أثوابَهـــا وأركـــبُ للـــروع طِرْفًـــا عتيـــدا
أصـــاحِ تـــري الـــبرق ذاتَ العِـــشاء كمـــا أشـــعل الباجـــسان الوَقـــودا
يُـــضئ ســـناه إذا مـــا عـــلا رَبابًـــا ثِقـــالاً ومُزْنًـــا نـــضيدا
فلمـــا تنـــزَّلَ مـــن كـــوكبي وكـــاد مـــن القـــرب يَغْـــشي الـــصعيدا

(81) الديوان ص ١٣٨.

(82) أحمد الحوفي، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، العجالة، مصر، د.ت، ص ٤٣.

أَبَـــسَّتْ بـــه الـــريحُ فاســـتاقها وحلّـــت عَزالِيـــهُ والجلـــودا
ســـقيتُ بـــه جَبَلَـــيْ طيِّـــئ وحيَّـــا بنخلـــةَ منـــا حَريـــدا
فأُوصِـــيكُمُ بطعـــان الكُمـــاةِ إذا مـــا مَعـــدٌّ أرادت مَريـــدا
فـــنعم الفـــوارسُ تحـــت العَجـــاجِ إذا مـــا الحديـــدُ أصَـــلَّ الحديـــدا
ونِعـــم المعاقـــلُ للخـــائفين إذا خِيـــف مـــن ذائـــدٍ أن يحيـــدا
كـــرامٌ اذا الـــضَّيفُ عنـــد الـــشتاء إذا مـــا المـــشارِعُ أضْـــحتْ جليـــدا[٨٣]

هذه هي صورة الانتظار والترقب عند امرئ القيس للعدو والتي جاءت متوائمة مع مواقفه التي مر بها ففيها ظهرت طبيعته وقوته ومكانته، وكان تركيزه فيها الحصول علي ثأر والده من بني أسد.

٤- انتظار المكان:

ارتبط الجاهلي ارتباطا وثيقا بالمكان نتيجة الظروف التي مر بها في حياته مما جعله يذكره في شعره، في كل موقف سواء كان عاطفيا أو مكانا للقتال أو مكانًا للغدير، أو للصيد فتري في ذلك وجدانه وأحاسيسه وعواطفه الجياشة، وتأثره بكل ما يدور حوله من مواقف.

وقد قرن امرؤ القيس المكان بمواقفه في حياته التي عاشها من خلال أشعاره المتناثرة في ديوانه الشعري.

"ومعلقته تمثل شخصية شاب أرستقراطي مترف تنحصر معه في الحياة شيئان: الحب من ناحية، والصيد من ناحية آخري، والحب يدفعه إلي المرأة الصديقة أكثر مما يدفعه إلي محبوبة يخلص لها، ويفني في حبها، وأكبر همه في الحياة أن يكون محبوبا، بل مدللا من المرأة، وليست معلقته في قسمها الأكبر سوي تصوير لهذا التدليل الذي مضي يسرد أقاصيصه في إعجاب بنفسه"[٨٤].

(83) الديوان ص ٢٥٢- ٢٥٤.

(84) يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، د.ت، ص ١٨٠.

وفي معلقته الشهيرة يركز فيها علي المكان وحتى قيل إنه ألفها حينما مر يوم الغدير بدارة جلجل(٨٥).

فذكر المكان متأملا مواقفه وظروفه تجاه المكان فيقول من الطويل:

قِفـــا نَبـــكِ مِـــن ذِكـــرى حَبيـــبٍ وَمَنـــزِلِ

بِـــسِقطِ اللِـــوى بَـــينَ الـــدَخولِ فَحَومَـــلِ(٨٦)

الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس هي سقط اللوي أو مسقط اللوي، والدخول وحومل كل هذه الأماكن موجوده في الجزيرة العربية وقف امرؤ القيس متأملا فيها.

اللوي الذي ذكره أمرؤ القيس في شعره هو:

"فإنه موضع بين جبل حومل وبين هضب الدخول في بلاد أبى بكـر بـن كلاب قد يما وهو سناف بني اللون له متن مشوق يمتد مـن الـشرق إلـي الغرب تكتنفه برقة كثيفة من جانبيه مغطية أطراف طرفه الشرقي يبدأ شمالا من الدخول قريبا منها ثم يمتد غربا وتنتهي رمله برقته قريبـا بـين جبـل حرمل وبين هضبة المنخرة ويسمي في هذا العهد مشرفا(٨٧)".

أما الدخول فهو:

"هضب أحمرله قمم عالية في ناحيته الشمالية ماء عذب يسمي باسمه داخل فيضة شعب يخرج منه وفي هضباته رسوس جمع رس وكلها عذبة المياه تقع في بلاد المضجع والمضجع شمالا من هضب الدواسر وجبل حومل يقع غربا منها قريبا منها ومياه هذه الهضاب من مياه عتيبة في هذا

(85) لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب بدوي طبانه، معلقات العرب، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤، ص ٦١.

(86) الديوان ص ٨.

(87) سعد بن عبد الله الجنيدل، معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر، مطابع جامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، ١٤١١هـ – ١٩٨٩، ص ٢٥٢.

العهد وهي تابعة لإمارة عفيف واقعة جنوبا من بلدة عفيف علي بعد مائتي كيلو تقريبا(٨٨)"

أما حومل فهو:

"جبل أسود له قمة بارزة يقع غربا بين هضب الدخول وشرفا بين المنخرة في بلاد قبيلة المقطة من عتيبة وهو معروف بهذا الأسم قديما وفي هذا العهد وهو من أعلام بلاد عمرو بن كلاب قديما وقد ذكره امرؤ القيس مقررنا بذكر الدخول لقربه منها(٨٩)"

أما دارة جلجل التي ذكرها امرؤ القيس فقال من الطويل:

ألارُبَّ يـــــومٍ لـــــك مـــــنهنَّ صـــــالحٍ

ولاســـــيما يـــــومٌ بـــــدارةِ جُلْجُـــــلِ(٩٠)

"ودارة جلجل باقية إلي اليوم في بطن الهضب وتقع بين جهته الجنوبية الشرقية ويقال لها دارة جلاجل(٩١)"

"ودارة جلاجل هي دارة جلجل ماء قديم يقع في المجامع في هضب الدواسر الأسمر يحف به جبل سمر من الغرب وماء الطيري يقع جنوبا منه والسريف شرقا منه وماء ثريا شمالا منه وهو أعلي وادي سمر في جانبه الأيسر والدارة تقع من الماء شمالا شرقيا وهي دارة واسعة محفوفة بالجبال من نواحيها المختلفة تابعة لإمارة الدواسر(٩٢)"

---

(88)سعد بن عبد الله الجنيدل، معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر، ص ١٩٦.

(89)سعد بن عبد الله الجنيدل، معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر، ص ١٦٤.

(90) الديوان، ص ١٠.

(91) سعد الجنيدل، ص ١٨٩.

(92) سعد الجنيدل، معجم عالية نجد، دار اليمامة للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت، ط٢، ص ٤٩٦.

هذه الأماكن التي ورد ذكرها في المعلقة تري من خلالها مواقف الشاعر وطبيعته التي جبل عليها فكل هذه الأماكن متميزة بوجود الماء وكذلك قرنت بمواقفه مع النساء وهذا المكان له مواقف خاصة مع عنيزة ابنة عمه كما ذكرها شارح الديوان فيقول:

"ودارة جلجل موضع يقال له الحِمي" حدّث الفرزدق عن جده أن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عَمٍّ له، يقال لها عنيزة وأنه طلبها فلم يصل إليها وأراد أن يتزوجها فلم يُقْضَ له حتى إذا كان يوم الغدير.

وهو يوم دارة جلجل احتمل الحيّ متقدمين وخلفوا النساء والخدم والعسفاء فلما رأي ذلك امرؤ القيس تخلف عن رجال قومه فكمَن في غيابة من الأرض حتى مرت به فتيات فيهن عنيزة فلما وردن الغدير نحين العبيد عنهن وتجردن ودخلن الغدير فخاتلهن امرؤ القيس فأخذ ثيابهن فحملها وأقسم ألا يُعْطِيَ جارية منهن ثوبها حتي تخرج كما هي فتأخذ ثوبها فأبيْنَ ذلك حتي تعالي النهار وخشين أن يقْصُرْن عن المنزل الذي يُردْنه فخرجت إحداهن فوضع لها ثوبها فأخذته وتتابعن علي ذلك حتي بقيت عنيزة فناشدته أن يطرح لها ثوبها فأبي عليها فخرجت فنظر إليها مقبلة مدبرة فأخذت ثوبها فلبسته(٩٣)"

هذه هي الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس من خلال معلقته وكان تركيزه فيها علي المرأة من خلال مواقفه فهو دعا صاحبيه أن يشاركاه في البكاء علي الأطلال من أجل ذكري أو تذكر الحبيب والمنزل التي تقيم فيه المحبوبة ثم انتقل إلى مغامراته النسائية ذاكرًا دارة جلجل.

وله قصيدة أخري يذكر لنا فيها المكان فهو يتجول فيها في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها إلي بلاد الشام فيذكر أولا مكانين هما "قو و عرعر" ويبين أن هذين الموضعين متباعدان وأن حزنه قد اشتد علي ذلك

(93) الديوان، ص ١٠.

وكذلك اتجه جنوبا إلي غسان، وغسان في اليمن وأن الحي مختلف عنها أي أن هذه المحبوبة قد تعددت أماكنها.

"وكانت قريبة منه وكان الشوق مغطيا في النفس، وفرت طيور الزمن المسحور في غفلة الرضي فلم يلتفت إليها ولا انتبه ثم ضفن طائر الدهر بجناحية حاملا الحبيب الي أرض أخري في موضعين آخرين فوصف الشوق بقلبه الصغير وذهب مذاهب شئ(٩٤)"

فيقول (من الطويل):

سَـــما لَـــكَ شَـــوقٌ بَعـــدَما كـــانَ أَقـــصَرا
وَحَلَّـــت سُـــلَيمى بَطْـــنَ قَـــوٍّ فَعَرْعَـــرا
كِنانِيَّـــةٌ بانَـــت وَفي الـــصَدرِ وُدُّهـــا
مُجـــاوِرَةً غَـــسّانَ وَالحَـــيَّ يَعمُـــرا
بِعَينَـــيَّ ظُعْـــنُ الحَـــيِّ لَمّـــا تَحَمَّلـــوا
لَـــدى جـــانِبِ الأَفـــلاجِ

ويتوالي امرؤ القيس في انتظاره وترقبه للمكان فينتقل من موضعه إلي بلاد الشام ذاكرا خملي وأوْجر ويقول لماذا ذهبت إلي هذين الموضعين وبعدت عن أهل هذه المحبوبة تذكرتهم واشتقت إليهم، وأيضا حينما ظهرت له مدينة حوران في وسط النهار ولم يرَ هذه المحبوبة فهو في يأس وحزن شديد فيقول (من الطويل):

نَزيـــفٌ إِذا قامَـــت لِوَجـــهٍ تَمايَلَـــت تُراشـــي الفُـــؤادَ الـــرَخْصَ أَلاّ تَخَتَّـــرا
أَأَسمـــاءُ أَمـــسى وُدُّهـــا قَـــد تَغَيَّـــرا سَـــنُبدِلُ إِن أَبـــدَلتِ بِـــالوُدِّ آخَـــرا
تَـــذَكَّرتُ أَهلـــي الـــصالِحينَ وَقَـــد أَتَـــت عَلـــى خَمَلـــى خـــوصُ الرِكـــابِ وَأَوجَـــرا

(94) وهيب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مطبعة المتوسط، بيروت، لبنان١٩٧٥، ص ٢٦٩.
(95) الديوان ص ٥٦.

فَلَمّـــا بَـــدا حَـــورانُ فـــي الآلِ دونَـــهُ نَظَـــرتَ فَلَـــم تَنظُـــرْ بِعَينَيـــكَ مَنظَـــرا[٩٦]

ومن عجب ذلك أن امرأ القيس يدعو حبيبته أسماء هـذه المـرة وكـان يدعوها سابقا سليمي ومن يدري فلعلها أسماء بل هي كذلك أغلب الظن هذه هي القبائل التي استنصرها فلم تنصره ونسيت الود القديم واسـتحدثت ودا آخرا ورأي لنفسه الحق أن ينسي ما نسيت وأن يستحدث ودا لما استحدثت، فولي وجهه صوب بلاد القيصر يسأله العون والصداقة[٩٧]"

ينتقل بعد ذلك إلي مكانين آخرين وهمـا حمـاه وشـيزر وأنـه حينمـا تجاوزهما انقطعت أسباب الحاجة إلي من أحب يائسا من اللقاء، وشغل بمـا كان فيه من الشدة والعناء فيقول من الطويل:

تَقَطَّـــعُ أَســـبابُ اللُبانَـــةِ وَالهَـــوى عَـــشِيَّةَ جاوَزْنـــا حَمـــاةَ وَشَـــيزَرا

بِـــسَيرٍ يَـــضُجُّ العَـــودُ مِنـــهُ يَمُنُّـــهُ أَخـــو الجَهـــدِ لا يُلـــوي عَلـــى مَـــن تَعَـــذَّرا

وَلَـــم يُنـــسِني مـــا قَـــد لَقيـــتُ ظَعائِنـــاً وَخَمـــلاً لَهـــا كَـــالقَرِّ يَومـــاً مُخَـــدَّرا

كَأَثـــلٍ مِـــنَ الأَعـــراضِ مِـــن دونِ بِيـــشَةٍ وَدونَ الغُمَـــيرِ عامِـــداتٍ لِغَـــضْوَرا[٩٨]

ينتقل بعد ذلك إلي بعلبك وحمص، مبينا أنه بعد من أهله وديـاره حتـى صار في موضع لا يعرف فيه.

لقد انكرتني بعبلك لم توافقني فكأنها منكرة لي وإنما يصف كونه في غير أهله وديار فلا يري شيئا يسربه ويوافقه فيقول من الطويل:

لَقَـــد أَنكَـــرَتني بَعلَبَـــكُّ وَأَهلُهـــا

وَلِابـــنُ جُـــرَيجٍ في قُـــرى حِمـــصَ أَنكَـــرا

نَـــشيمُ بَـــروقَ المُـــزنِ أَيـــنَ مُـــصابُهُ

وَلا شَـــيءَ يَـــشفي مِنـــكِ يـــا اِبنَـــةَ عَفـــزَرا

مِـــنَ القاصِـــراتِ الطَـــرفِ لَـــو دَبَّ مُحْـــوِلٍ

مِـــنَ الـــذَرِّ فَـــوقَ الإِتـــبِ مِنهـــا لَـــأَثَّرا

(96) الديوان ص ٦١.

(97) وهيب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ص ٢٧١.

(98) الديوان ص ٦٢.

لَـــــهُ الوَيـــــلُ إن أَمـــــسى وَلا أُمُّ هاشِـــــمٍ
قَـــــــــــــريبٌ وَلا البَســـــــباسَةُ اِبنَـــــــــــةُ

إن امرأ القيس في هذه القصيدة يذكر الأماكن ويترقبها فهو يعددها ويتجول في البلدان من الجزيرة العربية إلي بلاد الشام وغيرها وكان متعدد الأغراض في ذكره للأماكن وكان يدمج فيها المحبوبة وسماتها مع ذكر مواقفه المتعددة وخاصة موقفه مع بني أسد التي قتلت والده وكان يريد الحصول علي الثأر له.

"إن امرأ القيس كان علي امتداد القصيدة يضع يده علي فم الجرح الدافق في مكابرة أبيه ولكنه لم يستطع أن يلم كل أحاسيسه فندت عن شفتيه صيحات الوجع واللهفة وأن الغزل والظعائن كانا رمزين أجاد الشاعر استخدامها واستنفد جانبا واسعا من طاقاتهما الفنية الضخمة(١٠٠)"

وله قصيدة آخري في ترقبه وانتظاره للمكان في قصيدته والتي يبدأها بقوله (من الطويل):

ألاعِـــمْ صَـــباحًا أيهـــا الطلـــل البـــالي
وهَـــلْ يَعمِـــنَ مَـــن كـــان في العُـــصُر الخـــالي(١٠١)

"يتحدث عن المرأة سماتها بأنها جميلة الثغر ناعمة اليدين لطيفة ليست منتفخة الجنبين والخاصرتين عظيمة البطن سهلة لطيفة عظيمة الخلق وأنه توهمها من بعيد من أذرعات وأذرعات هذه في الشام ويثرب مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم، وبينهما مسافة بعيدة وقد بين ذلك بقولة "أدني دارها نظر عالي" أي مرتفع بعيد فيقول من الطويل:

وَهَبَّـــت لَـــهُ ريـــحٌ بِمُختَلَـــفِ الـــصُّوى
صَـــــباً وَشَـــــمالٌ في مَنـــــازِلِ قُفّـــــالِ

(99) الديوان ص ٦٨.
(100) وهيب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ص ٢٧٣.
(101) الديوان ص ٢٧.

وَمِثْلُـــكِ بَيْـــضاءِ العَـــوارِضِ طَفْلَـــةٍ
لَعـــوبٍ تُنَـــسّيني إذا قُمـــتُ سِـــربالي
كَحَقْـــفِ النَقـــا يَمـــشي الوَليـــدانِ فَوقَـــهُ
بِمـــا احتَـــسَبا مِـــن لـــينِ مَـــسٍّ وَتَـــسهالِ
لَطيفَـــةِ طَـــيِّ الكَـــشحِ غَـــيرِ مُفاضَـــةٍ
إذا انفَلَتَـــت مُرتَجَّـــةً غَـــيرَ مِتفـــالِ
إذا مـــا الـــضَجيعُ ابتَزَّهـــا مِـــن ثِيابِهـــا
تَميـــلُ عَلَيـــهِ هَوْنَـــةً غَـــيرَ مِجبـــالِ
تَنَوَّرتُهـــا مِـــن أَذرُعـــاتٍ وَأَهلُهـــا
بِيَثـــرِبَ أَدنـــى دارِهـــا نَظَـــرٌ عـــالِ
نَظَـــرتُ إِلَيهـــا وَالنُجـــومُ كَأَنَّهـــا
مَـــصابيحُ رُهبـــانٍ تُـــشَبُّ لِقُفّـــالِ
سَـــمَوتُ إِلَيهـــا بَعـــدَ مـــا نـــامَ أَهلُهـــا
سُـــموَّ حَبـــابِ المـــاءِ حـــالاً عَلَـــى حـــالِ
فَقالَـــت سَـــباكَ اللَـــهُ إِنَّـــكَ فاضِـــحي
أَلَـــستَ تَـــرى الـــسُمّارَ وَالنـــاسَ أَحـــوالي[١٠٢]

هذه هي صورة انتظار وترقب المكان لامرئ القيس وكانت صورة مقترنة تماما بحياته وبمواقفه مرة بالحصول علي ثأر والده وأخرى بالمحبوبة، وقد تجول في الجزيرة العربية وبلاد الشام وغيرها.

٥- انتظار وترقب النهار:

النهار مصدر للرزق فيه تتبدل الحياة وتتغير مظاهر الطبيعة حيث تشرق الشمس ويتبدد الظلام وتخرج كل الكائنات طلبا للرزق. والشاعر الجاهلي

(102) الديوان، ص ٣٠- ٣١.

كثيرًا ما يشكو همه لليل ويتمني زواله وانقضاءه منتظرًا النهار في أسرع وقت.

"فمع مشهد الليل قد يتوقف الشاعر – بعامة – سعيدا هانئا يخشي انقضاءه بل لعله لا يريد هذا الانقضاء ولا يتمناه بحال وربما حاول هو بنفسه أن يتحكم في ليله الغزلي فقصره من واقع تجاربه حتي إذا ما ظهر النهار وكان الانقضاء الحتمي لليل كان اغترابه أمام النهار ذاته موقفا آخر وكان حزنه إزاء مرور ذلك الليل الذي أبي أن يظل في حدود توحده معه ولكنها دورة للزمان الذي حرمته استكمال المتعة المرهونة به فلا ينبغي له إزاءه إلا مجرد الاعتراف باغترابه فهو إحدي صور الكآبة التي طلع فيها زمانه(١٠٣)"

"وكان امرؤ القيس صاحب هم في صباه وطريد هموم في رجولته، والهم منشأه القلق، والقلق وراءه كل إبداع عبقري، وأول ما نلقي من همومه أبيات له في المعلقة طافحة بالأسي، قالها في أيامه الأولى فتيا تضيق الدنيا بشبابه وقدمها لنا في صورة جليلة جميلة ما يكاد المرء ينشدها ويتملاها حتي تلقه التجربة بأبعادها من كل جوانبه فيري فيها نفسه خالصة وأي الناس بلا هموم(١٠٤)"

" ولقد تأمل الشعراء الجاهليون في الليل وظلامه ونجومه المتلألئة وسحبه الداكنة والبرق الملتمع كأنه سيوف والمطر الهاطل الشديد فافتتنوا في كل ذلك(١٠٥)"

---

(103) مي خليف، الموقف النفسي عند شعراء المعلقات، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، د.ت، ص ٢١-٢٢.

(104) الطاهر مكي، امرؤ القيس حياته وشعره ، ص ٢٣٦.

(105) يحيي الجبوري، لبيد بن ربيعة العامري، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٠، ص ٢٦٥.

إن امرأ القيس قد أبرز إحساسه بوطأة الليل على نفسه نتيجة الآلام والهموم التي مر بها فكان دائما في عجل شديد، حتي يأتي النهار الذي ينسيه هذه المواقف.

"ولقد استحث امرؤ القيس الليل علي المضي واستحث الموج علي التقدم حتي لا تنعقد الظلمة وتتكأثف واستحث النجوم علي أن تنجليَ عن ظلمتها فهو إذن يريد لهذا العالم من حوله أن تتحرك حركة أوسع وأكثر نشاطا[١٠٦]"

وإن ليل امرئ القيس ليل طويل شبهه بأمواج البحر، لأن أمواج البحر لا تنتهي فهي دائما في استمرار وتتابع فيقول(من الطويل):

وَلَيـــــلٍ كَمَـــــوجِ البَحـــــرِ أَرخـــــى سُـــــدولَهُ
عَلَـــــيَّ بِـــــأَنواعِ الهُمـــــومِ لِيَبتَلـــــي
فَقُلـــــتُ لَـــــهُ لَمّـــــا تَمَطّـــــى بِجَـــــوْزِهِ
وَأَردَفَ أَعجـــــازاً وَنـــــاءَ بِكَلكَـــــلِ
أَلا أَيُّهـــــا اللَيـــــلُ الطَويـــــلُ أَلِـــــا انجَلـــــي
بِـــــصُبحٍ وَمـــــا الإِصـــــباحُ مِنـــــكَ بِأَمثَـــــلِ
فَيـــــا لَـــــكَ مِـــــن لَيـــــلٍ كَـــــأَنَّ نُجومَـــــهُ
بِكُـــــلِّ مُغـــــارِ الفَتـــــلِ شُـــــدَّت بِيَـــــذبُلِ
كَـــــأَنَّ الثُرَيّـــــا عُلِّقَـــــت في مَـــــصامِها
بِـــــأَمراسِ كَتّـــــانٍ إِلى صُـــــمِّ جَنـــــدَلِ[١٠٧]

وبعد ظلمة الليل وفحشه وتراكم الهموم يأتي النهار الذي بدايته الصباح فنري استعداده للسعي والقنص والصيد وقد جاء انتظاره وترقبه للنهار بصورة فيها يقظة مبينا أنه يسبق الطيور قبل أن تخرج من أعشائها بفرسه

(106) مصطفي ناصف، صوت الشاعر القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٢، ص١٦.
(107) الديوان ص ١٨– ١٩.

الشهير الذي فاق أقرانه من الشعراء وصدقت مقولة الرواة عنه "أفضل الشعراء امرؤ القيس إذا ركب" فيقول (من الطويل):

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها بِمُنجَردٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعاً كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ
كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِبدُ عَن حالِ مَتنِهِ كَما زَلَّتِ الصَفواءُ بِالمُتَنَزَّلِ
مِسَحٍّ إِذا ما السابِحاتُ عَلى الوَنى أَثَرنَ غُباراً بِالكَديدِ المُرَكَّلِ
عَلى العَقبِ جَيّاشٍ كَأَنَّ اِهتِزامَهُ إِذا جاشَ فيهِ حَميُهُ غَلْيُ مِرجَلِ
يُطيرُ الغُلامَ الخِفَّ عَن صَهَواتِهِ وَيُلوي بِأَثوابِ العَنيفِ المُثَقَّلِ
دَريرٍ كَخُذروفِ الوَليدِ أَمَرَّهُ تَتَقُّلُ بِكَفَّيهِ بِخَيطٍ مُوَصَّلِ
لَهُ أَيطَلا ظَبيٍ وَساقا نَعامَةٍ وَإِرخاءُ سِرحانٍ وَتَقريبُ تَتفُلِ
كَأَنَّ عَلى الكَتفَينِ مِنهُ إِذا اِنتَحى مَداكَ عَروسٍ أَو صَرايَةَ حَنظَلِ
وَباتَ عَلَيهِ سَرجُهُ وَلِجامُهُ وَباتَ بِعَيني قائِماً غَيرَ مُرسَلِ[108]

أما في قصيدته والتي يقول في مطلعها(من المتقارب):

تَطاوَلَ لَيلُكَ بِالأَثمُدِ وَنامَ الخَلِيُّ وَلَم تَرقُدِ

والتي يبين فيها أن الليل قد تطاول وهو لم يرقد له جفن من كثرة الهموم وأن عدوه نام وهو من شدة القلق والسهر كأن عينه عوراء لم تغمض نتيجة خبر جاءه.

وأن الإنسان يبلغ بلسانه وقوله من هجاء وذم وغير ذلك ما يبلغ السيف إذا ضرب به من شدة ذلك علي المقتول به، فيقول فيها (من المتقارب):

تَطاوَلَ لَيلُكَ بِالأَثمُدِ وَنامَ الخَلِيُّ وَلَم تَرقُدِ
وَباتَ وَباتَت لَهُ لَيلَةٌ كَلَيلَةِ ذي العائِرِ الأَرمَدِ
وَذَلِكَ مِن نَبَإٍ جاءَني وَأُنبِئتُهُ عَن أَبي الأَسوَدِ
وَلَو عَن نَثًا غَيرِهِ جاءَني وَجُرحُ اللِسانِ كَجُرحِ اليَدِ[109]

(108) الديوان ص ١٩- ٢٠.
(109) الديوان ص ١٨٥.

ثم يوجه خطابه بعد ذلك لأعدائه قائلا لهم أي شئ ترغبون منا هل ترغبون دم عمرو وهو شخص من قومه لكنه يقول لهم أن تتركوا فيما بيننا وبينكم من داء فإننا لا نظهره وان تبعثوا الحرب فنحن مستعدون لذلك وكذلك إن تقتلونا مرة، نتكلم مرة بعد مرة، وإن تقصدوا لدم نقصده، أي إن تقصدوا لدمائنا نقصد لدمائكم. فيقول (من المتقارب):

لَقُلتُ مِنَ القَولِ ما لا يَزا ... لُ يُؤثِرُ عَنّي يَدَ المُسْنَدِ
بِأَيِّ عَلاقَتِنا تَرغَبونَ ... أَعَن دَمِ عَمروٍ عَلى مَرثَدِ
فَإِن تَدفُنوا الداءَ لا نُخفِهِ ... وَإِن تَبعَثوا الحَربَ لا نَقعُدِ
فَإِن تَقتُلونا نُقَتِّلكُمُ ... وَإِن تَقصِدوا لِدَمٍ نَقصُدِ[110]

وبعد تهديده للقوم يوضح قوة الكماة وأنهم أصحاب شرف ومكانة كما أنه أعد للحرب أدواتها وخاصة الفرس والدرع والرمح وكافة الأدوات ولكنه في البيت الأخير يركز علي السيف مبينا أنه إذا ضرب به رسب في الضريبة، وغمض فيها أي ذهب فيقول (من المتقارب):

مَتى عَهدُنا بِطِعانِ الكُما ... ةِ وَالحَمدِ وَالمَجدِ وَالسُؤدَدِ
وَبَنْيِ القِبابِ وَمَلْءِ الجِفا ... نِ وَالنارِ وَالحَطَبِ المُفأَدِ
وَأَعدَدتُ لِلحَربِ وَثّابَةً ... جَوادَ المَحَثَّةِ وَالمِروَدِ
سَموحاً جَموحاً وَإِحضارُها ... كَمَعمَعَةِ السَعَفِ الموقَدِ
وَمَشدودَةَ السَكِّ مَوضونَةً ... تَضاءَلُ في الطَيِّ كَالمِبرَدِ
تَفيضُ عَلى المَرءِ أَردانُها ... كَفَيضِ الأَتِيِّ عَلى الجَدْجَدِ
وَمُطَّرِداً كَرِشاءِ الجَرو ... رِ مِن خُلُبِ النَخلَةِ الأَجرَدِ
وَذا شُطَبٍ غامِضاً كَلْمُهُ ... إِذا صابَ بِالعَظمِ لَم يَنأَدِ[111]

هذا هو مثال لانتظار وترقب النهار عند امرئ القيس ففيه ركز علي مقابلة وإبراز قومه ومكانته وأسلحته وتهديده فهو قرين الانتظار للنهار بالقوة وعدم الصبر علي الأعداء.

(110) الديوان ص ١٨٦.
(111) الديوان، ص ١٨٧– ١٨٨.

وله موقف آخر يبين لنا أرقه وقلقه حينما سمع صوت البرق والرعد عندما أضاء ضوءه أعلي الجبل فهو يتساءل عن ذلك وقد أتاه حديث ولكنه كذبه علي الرغم من تزعزعه لهذا الخبر وهو قتل بني أسد والده وهدفه من ذلك هو الحصول علي ثأر والده ويتساءل أين ربيعة، وأين ملوكهم لماذا لا يحضرون فيقول من المتقارب:

عجبتُ لبرقٍ بليلٍ أهلّ ... يُضئُ سَناه بأعلي الجبلْ
أتاني حديثٌ فكذبته ... وأمرٌ تزعزعُ منه القُلَلْ
لقتل بني أسد ربَّها ... ألا كلُّ شئ سواه جَلَلْ
فأين ربيعةُ عن ربهم ... وأين السَّكونُ وأين الخَول
ألا يحضرون لدي بابه ... كما يحضرون اذا ما أكل[112]

أما في قصيدته التي يخاطب فيها صاحبيه والتي يشكو فيها أن الليل قد طال، وأن يسقيانه مرة بعد مرة ويسألهما هل يرقبان مثله، إذا يرقب البرق وحينما انكشف السحاب لمع و أصبح كالخيل البلق إذا كشفت إجلاها وكذلك وصف نفسه وهو في مكان القتال بأنه صامد وأن الخيل يتبع بعضها بعضا.

ويخاطب صاحبته ألا تغشي معاتبته أو تجمع له لئام الناس أو تضرب بهم المثل وهذا دليل علي انتظاره وترقبه وفي كل ذلك تراه يقف في جوانب مظلمة دليلاً علي انتظاره للنهار وختم الأبيات عند وقوفه عند بعض الأماكن مثل حرص، والجوف- أما هذه القصيدة، فيقول فيها (من البسيط):

تا صاحبيَّ إذا ما خفتما غرضي ... فعلِّلاني فان الليل قد طالا
هل تأرقان لبرقٍ بتُّ أَرْقُبُهُ ... كما تُكِّشُف عنها البلْقُ أجْلالا
يحمي الفلاةَ وتنفي عن مرابطها ... خيلاً بمُعتَركٍ يعْدون أرسالا
وقد نهيتُكِ أن تَغشَيْ مُعاتبتي ... أو تجمعي لي لئامَ الناس أمثالا
إذ لا أزال علي أرجاء مُظلمةٍ ... أبغيكِ فيها سناءَ الذّكِر والمالا
وقد أخودُ بأخرابٍ إلى حُرُضٍ ... إلى جماهيرَ رحْبَ الجوفِ صهَّالا[113]

(112)الديوان ص ٢٦١.
(113) الديوان ص ٢٨١

هذه هي صورة وانتظار وترقب النهار عند امرئ القيس، والتي جاءت من خلال آلامه ومواقفه التي مر بها، والتي جاءت متوائمة مع الظروف مثل الحصول علي ثأر والده من بني أسد.

"وكل هذه الدلالات تصوير دقيق لواقع امرئ القيس حينئذ فقد تدفقت عليه الأحداث بأحزانها وهمومها، مطالبة إياه بإظهار ما لديه من عزم وهمة، فهو حينئذ في موقف واختيار[١١٤].

الدراسة الفنية:

بعد الجولة التي وقفنا فيها أمام ثلاثة من الشعراء الجاهليين المعروفين، أصحاب هذه الظاهرة، يمكن لنا أن نقف عند المعانى أولاً ، ثم اللغة والأسلوب، نتيجة اختلاف كل منهم علي حسب طبيعته التي مر بها من خلال مواقفه المختلفة.

أولا: بالنسبة للشنفري الصعلوك:

جاءت الظاهرة عنده في ثلاثة محاور مختلفة، وهي انتظار المحبوبة والثأر والعدو.

"ولعل أول ما يلاحظ علي معاني الشاعر الجاهلي أنها معان واضحة بسيطة ليس فيها تكلف ولا بعد ولا إغراق في الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيس أو حين يصور ما حوله في الطبيعة، فهو لا يعرف الغلو ولا المغالاة التي قد تخرج به عن الحدود المعقولة(١١٥)".

وهذه هي طبيعة الشعراء الجاهليين فكان حرصهم علي إبراز ما بداخلهم من مواقف وصور مختلفة تأتي متوائمة مع الموقف نفسه.

بالنسبة للمحور الأول عند الشنفري، وهو المرأة المحبوبة فإن صورتها جاءت خالية من الغزل وصوره، وأيضا من عمق التجارب التي مر بها، فهو

(114) عبد الحليم حنفي، معلقة أمرئ القيس في ضوء جديد، ص٥٧.
(115) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٢١٩.

صاحب موقف واحد علي أم عمرو التي ارتحلت هي وقومها، وأنها استبدت به، وشغل باله بها وفي الموقف الثاني يطلب منها أن تكون زوجه له.

- أما بالنسبة للمحور الثاني، هو الحصول علي الثأر فهو يبرر موقفة مع بني سلامان، وأنه لم يفرط في الحصول علي ثأر أبيه.
- أما عن موقفه من العدو، فعلي الرغم من أنه من الصعاليك فإنه لم يفرط في ثأر أبيه، فكان يبرر مواقفه تجاه العدو ويبرر إغارته علي عدوه وهي سمة تميز بها الصعاليك.
- أما المهلهل بن ربيعة فجاءت هذه الظاهرة عنده في انتظار الهم والثأر لأخيه كليب، حتى يشفي غليله من بني بكر، وبني شيبان.
- أما الصورة عند امرئ ألقيس، وهي موضوعنا الرئيس، فقد جاءت الصورة عنده مركزة في محاور خمس، وهي المحبوبة، والموت، والعدو، والمكان، والنهار، "وامرؤ القيس بدون منازع أشهر شعراء العصر الجاهلي، وهو يعد بحق أبا الشعر العربي، وترجع أهميته الفنية إلي أنه هو الذي وضع للشعراء الجاهلين تقاليد القصيدة العربية. وفتح لهم أبواب القول ومهد لهم سبله ولفت نظرهم إلي طائفة من الموضوعات والمعاني والصور التي عاشت عليها هذه القصيدة فترة طويلة من تاريخها وكان لهم الرائد الخبير بالطريق الذي كشف عن كثير من مساكن، ودروبه لأول مرة في تاريخ الشعر العربي، وسلك بهم طرقا جديدة في أرض عذراء لم تخطوها أقدامهم من قبل[١١٦].
- بالنسبة للمرأة عند امرئ ألقيس رأينا براعته، وشجاعته، وحبه وعشقه، فهو لم يترك شيئا عن المرأة إلا ووقف أمامه.

وقد وصف امرؤ ألقيس كل ما شاهد من حبيبته، أو لمس فهي لطيفة الكشح مملوءة الساقيين، ضامرة البطن، بيضاء صافية اللون، صدرها

(116) يوسف خليف، مواقف بين الشعر والنقد، دار غريب للطباعة والنشر، مصر ٢٠٠٠م، ص ٦٦.

صقيل متلألئ كالمرآة الصافية، أسيلة الخدين، واسعة العينين، طويلة العنق قد زينته بالحلي شعرها طويل، مسترسل علي ظهرها أسود فاحم قد عقصت جدائل منه فوق رأسها، فهو كثير منه المعقوص ومنه المرسل وخصرها لطيف وساقها رائق، صافٍ كأنبوب البردي، وهي مترفة مخدومة تنام الضحى، طيبة الرائحة، ترفها هذا جعلها ناعمة الأصابع، رقيقة البنان، أما وجهها فصبيح وضاء يغلب نوره ظلام الليل، وهي طويلة القد مديدة القامة لم تدرك الحُلُم وإن جاوزت في سن الجواري الصغار(١١٧)".

وهذا دليل علي الحياة التي عاشها في فترة شبابه، فكان صاحب مغامرات مع المرأة، جعلته مستهترا في حياته.

"وذكريات امرئ القيس وأطلاله وليدة دفع عاطفي كأن صاحبها يحن إلي أمسه فعلا، ويشتاق إليه، ويرجوه أن يعود، وهي عواطف رغم بيئتها المحدودة، ومن تكرار بعض صورتها، ذات ملامح إنسانية عميقة، لا تكاد تفهمها حتى تقف عندها، ولا تكاد تقف معها حتى نتجاوب معها، وتفكر فيها، وتتحول إلي واقع مجسم نتصوره ونعايش صاحبه، ونلتقي معه، ونفرح له أو نأس عليه، لأنه يعبر عن لون من الفراق، كلنا نعيشه في صورة أو أخرى فالموت فراق الحياة، والفقر فراق الغني، والشقاء فراق السعادة، والرحيل فراق الأهل والأحبه(١١٨)".

كل هذه المواقف الغزلية مع المرأة، والتي جاء بها امرؤ القيس تدل علي مغامراته مع المرأة في انتظاره وترقبه لها.

"فالمرأة إلي جانبها النفسي أكثر وضوحا في شعر الأطلال، منها في شعر الغزل، لأنه فيها يلاحقها كيانا ماديا يصف دقائقه، وإنما يعرض لها معني إنسانيا يأسي لفراقه، ويحزن لرحيله، وتمتلئ عينه بالدموع عند تذكر هذه

(117) يحيي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، موسعة الرسالة بيروت، ط ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص ٢٨٥.
(118) الطاهر مكي، امرؤ القيس حياته و شعره، ص١٧٧.

اللحظات، كلما يتجاوز ذلك أو يتخلي عنه، فإنه فعل فلكي، يقول عنها إنها طيبه الرائحة، موشاة الثياب، والحديث عنها في المقدمة طبيعي يقتضيه صدق الانفعال، واكتمال الصورة وليس إقحامًا لها في غير موضع، ليقال عنها كلام يمكن أن يقوله الشاعر في غير هذا المكان(١١٩)".

وكان في حديثه عن المرأة أكثر وضوحا وصراحة من كل ما قاله تجاهها، وقد سبق الشعراء في حديثة عنها، وقد قطع الجدل حول هذا الموضوع من خلال أشعاره، فذكر كل ما يتعلق بجميع صنوف المرأة، الجميلة، والحُبْلى، والمرضع، وصاحبه الراحة الذكية وغيرها.

أما بالنسبة للموت:

"وقد اعتبر العرب القدامي الموت مظهرا طبيعيا كما رأوه، وهو فناءا الجسد والنفسي معا، والموت يرصد دوما الإنسان، وهو قريب منه أينما كان، لا يعلم أحد متي يحين أجله ويشدد سنه(١٢٠)".

وكان الموت عند امرئ القيس ينحصر في موقفه مع قيصر الروم نتيجة الوشاية التي سمعها ملك الروم من الطماح الأزدي وكذلك مقولته الشهيرة التي قالها حينما حصرته الوفاه:

ياجفنة مسحنفره وطعنة مثعنجره

قد غودرت بأنقره

واعترافه بأن الموت حق وأنه ليس بمخلد.

"وامرؤ القيس حين اقترب من الموت في بلاد الروم، صرخ صرخته الحزينة الباكية، صرخة المريض الغريب، حين يحتضر وحيدا ويعاني

(119)الطاهر مكي، امرؤ القيس حياته و شعره، ص١٧٨.

(120) ثريا عبد الفتاح ملحس، القيم الروحية في الشعر الجاهلي قديمة وحديثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت، ص١٥٣.

سكرات الموت في ديار الغربة بعيدا عن الأهل والأحباب فقد صرخ صـرخة حزينة موجها الخطاب الي جارته في عالم الموتي[١٢١].

- أما بالنسبة لانتظاره العدو فهو يبرز شجاعته وقوته وقد تركـزت فـي حديثة عن بني أسد التي قتلت والده، وفي هذا الموقف يبـرز منادمتـه للملوك، وخاصة قيصر، وانه دائما علي أتم الاستعداد للحرب بأدواتها، وأنه يسبب الروع للعدو.
- أما بالنسبة لانتظاره المكان، فقد تحدث عنه في أكثر من قصيدة، ذاكرا فيها المواضع والأماكن التي مر بها بتجاربه العاطفية خاصة مع المرأة.

"فمعظم مفرداته كانت عملية رصدًا لبعض الأماكن التي شهدت مغامرة المرأة والتي تقطنها والتي ارتبطت بها علي نحو من الاتجاه.

وقليلا ما ينصرف البعد المكاني إلى ما يسمي (طرف المكان) مثل خلف، وراء، أمام، وسط، أي أن التحرك المكاني كان حرا طليقا من ناحية، وواسعا شاملا من ناحية أخري وهذا يعطي مؤشرا علي اتساع حركة المغامرة مع المرأة، وخروجها في إطار الدار أو الخيمة، وانتقالها الي أماكن آخري قد يكون بعيده عن التطور كالغبيط وكثبان الرمال، وهو انتقال يوحي بالجرأة في المغامرة، وتحدي التقاليد التي يعرضها الواقع القديم[١٢٢].

وفي كل ذلك نرى إيمانه بالمكان، وبمواقفه وكان يربطه بالظروف التي يمر بها وكان واضحا لديه بعد فني كبير مثير عن أقرانه من شعراء جيله.

- أما بالنسبة للنهار فإن امرأ القيس قد أظهر همه لنا من خـلال الليـل بظلمته وفحشه ووحشيته، فذكر الصباح والضحي.

"وفي وصف امرئ القيس الليل بحيوان مخيف يتبدي في الإحساس بالخوف لا شك أن البيئة الصحراوية بحيواناتها المخيفة المهددة لأمن

(121) سعد دعبيس، تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي، دار الثقافة، مصر، د.ت، ص ٢٧٥.

(122) محمد عبد المطلب، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، ص٢١٦.

الإنسان واستقراره وراء هذا الإحساس بالخوف من الليل وهو الحيوان المخيف(١٢٣)"

"ومفردات النهار تتوزع بين مراحله المختلفة من الصباح المبكر إلي الضحي إلي وقت الظهيرة، مع ميل واضح إلي فترة الصباح باعتبارها مناط النشاط، وبذل الطاقة في هذه البيئة(١٢٤).

وامرؤ القيس تمني وتعجل نهاية الليل علي الرغم من أنه إنسان عاشق بعد أن تصوره بهمومه وبسواده كأنه أمواج لا تنتهي ولكن سرعان ما انقضي هذا الليل، وجاء وقت البكور، حيث يسبق الطيور قبل أن تخرج من أعشاتها بالحصان الذي فاق الشعراء بوصفه الرائع.

اللغة والأسلوب:

جاءت اللغة والأسلوب في الموضوعات الشعرية التي وقفنا أمامها عند الشعراء كالتالي:

- **أولا بالنسبة للشنفري:**

جاءت اللغة عنده في انتظاره للمرأة، بأسلوب لغوي وبموسيقا بارزة مستخدما فيها البحر الطويل في قصيدته مبرزا موقفه مع أم عمرو كما استخدم نوعًا من الغزل والتشبيب بصاحبته فنوه بمحاسنها ووصف قوته وشدة بأسه فجاءت الألفاظ المناسبة مع حياته كصعلوك.

- **أما بالنسبة لانتظاره الثأر يذكر فضل بني سلامان، جاءت ألفاظه متوائمة مع الثأر فذكر الألفاظ مثل شفينا الغليل، المنية، الدموع، وحلو، ومر.[125]**
- **ولذلك بالنسبة للعدو جاءت أيضا ألفاظه متوائمة مع الموقف كذكره فبت علي حد الذراعين مجذيا**

(123) عبد الله بافازي، جوانب نفسية في المعلقات العربية، ص ١٩.
(124) محمد عبد المطلب، قراءة ثانية فى شعر امرئ القيس، ص ٢٣٣.
125 راجع المفضليات ص١١٢.

وأبيض من ماء الحديد مهند

مجذ لأطراف السواء، مقطف.

- **أما بالنسبة للمهلهل بن ربيعة فقد جاءت الألفاظ قريبة عنده ملازمة له من خلال الهم والحصول علي الثأر.**
- **فذكر انحدار الدموع– الليل ليس له نهار– أرقب الجوزاء.**
- **تكرار النداء لكليب دليل علي القلق والهم.**
- **أبت عيناي أن تكف كناية علي استمرار الحزن والهم وكذلك طار النوم وامتنع القرار أيضا كناية عن القلق والهم.**
- **تتابع الليل النهار. كلها صورة تدل علي القلق والهم.**
- **وله صورة آخري فيها القلق والهم .[126]**

أما في النموذج الثالث فنرى القلق والهم والسهر والانتظار والترقب للنجم أن يزول حتي يصبح الصبح ويثأر من بني بكر.

- **أزجر العين أن تبكي الطلولا.**
- **أن في الصدر من كليب غليلا.**
- **أن في الصدر حاجة.**
- **صرنا تحت البوارق.[127]**

كلها ألفاظ وصور جاءت معبرة عن حالته النفسية، إذن جاءت الصورة القلقة عند المهلهل، متوائمة مع الألفاظ والمواقف.

جاءت ألفاظ الحرب وأدواتها:

الموحية، السيوف، أخو الحرب، البوارق، القسي.

أما الدراسة الفنية عند امرئ القيس فجاءت كالتالي:

أولا بالنسبة لانتظاره المرأة تري:

126 راجع الديوان ص٣١.

127 راجع الديوان ص ٦٢-٦٣.

الألفاظ يظهر فيها التواضع والحنين للمرأة وكذلك غزارة الدموع وأن قلبه مقتول بالحب لبيضة الخدر التي تمتع معها مرارا علي الرغم من كثرة حراسها وقوتهم.

كذلك الدمع ينصب كأنه جدول أو نهر صغير أقطع الأرض بالناقة الشابة الصغيرة وقد ذكرت الناقة عند كثير من الشعراء أمثال طرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، والأعشى كل هؤلاء قد وصفوا نوقهم بإفراط شديد أما امرؤ القيس فقد ذكرها دون أن يتعرض لسماتها الجسدية وغيرها، إنما ذكرها أيضا بأنه صار للبحث عن هذه المحبوبة التي يسأل عنها وهي ليلي

أما الموسيقي هنا فقد استخدم في هذا الغرض في النموذج الأول البحر الطويل لأن هذا البحر يستوعب مالا يستوعب غيره من المعاني التي ظهرت من خلاله ويتسع للفخر والحماسة والتشابيه والاستعارات، وسوء الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال(١٢٨).

الحماسة الفخر دلالة علي مقدرته للوصول إلى بيضة الخدر التي عليها حراسٌ ومعشرٌ لو أشاروا لقتلوه.

-درقت عيناك الدموع دليل علي كثرة سريان الدموع والأعشار دليل علي القطع والعثور.

-تشبيه المرأة بالبيضة لبياضها ورقتها، والخدر بأنها مكنونة غير مبتذلة. أما في النموذج الثاني فإنه تناول البحر "المخلع البسيط لما في هذا البحر من موسيقا "بسيطة عصرية(١٢٩)".

فكان هذا حديثه وحواره وكذلك في سيرة بالناقة للبحث عن المحبوبة.

الصفات العامة:

ناعمة كناية عن النعمة والتنعم.

---

(128) سليمان البستاني، إلياذة هوميروس، فعلا عن كتاب علي يونس، نظره جديده في موسيقي الشعر العربي، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص ١٠٣.

(129) السابق، ص ١٠٥.

مفرد شبوب كأنها نور.

بالنسبة لانتظار الموت:

استخدم أيضا البحر الوافر في النموذج الأول لما يحتوي هذا البحر علي العنف أو اللين ولما له من بساطة وطلاوة.

المر يخبرك أن الدهرَ غُولٌ ختورُ العهد يلتهمُ الرجالا

أستخدم الألفاظ التي تدل علي الموت.

غول: وهو حيوان وهي كانت العرب تستخدمه. يلتهم: أي يبتلع أو يفني الرجال. أنشب في المخالب أي أن الدهر له مخالب.

أما بالنسبة للنوذج الثاني، فقد استخدم البحر الطويل لما لهذا البحر من استيعاب كثير للمعاني.١٣٠

فوصف حالة الموت البطئ الذي أصابه وحالته، ووصف ما أصابه من مرض وغيره، وذكره لحالة الواشين له.

لَقَد طَمِحَ الطَمّاحُ مِن بُعدِ أَرضِهِ لِيُلبِسَني مِن دائِهِ ما تَلَبَّسا

أَلا إِنَّ بَعدَ العُدمِ لِلمَرءِ قِنْوَةً وَبَعدَ المَشيبِ طولُ عُمرٍ وَمَلبَسا[١٣١]

وأيضا النموذج الثالث في البيتين اللذين غيرهما عند موته فى حديثه عن المرأة وغوله.

أجارتَنا إن المزارَ قريبُ وإني مقيمٌ ما أقام عَسيب

أجارتَنا إنّا غريبان ها هنا وكُلُّ غريبٍ للغريب نَسيبُ[١٣٢]

أيضا نموذج آخر من الطويل عند الموت ذكره الدمع- والهلاك.

لقد دمعت عيناي في القَرِّ والقَيْظ وهل تدمع العينان إلا من الغَيْظ!

فلما رأيت الشرَّ ليس ببارحٍ دعوتُ لنفسي عند ذلك بالفَيْظ[١٣٣]

(130) الديوان ص ٣٠٩-٣١١.

(131) الديوان ص ١٠٧-١٠٨.

(132) الديوان ص ٣٥٧.

(133) الديوان ص ٣٥٧.

- **أما النموذج الآخر فهو من الطويل أيضا وبالنسبة للألفاظ فإنا نري أنه ذكر الألفاظ التالية هلكت بدار قومي- الموت حق- أعالج ملك قيصر كل يوم أن يعالج القروح التي تفاعلت مع الحلة المسمومة التي أهديت له.**
- **المنية- كلها ألفاظ تدل علي الموت والهلاك.[134]**
- **أما بالنسبة لانتظاره للعدو في النموذج الأول فقد تناول قصيدته علي بحر الرجز، وهو أسهل البحور نظما، ويقتصر عنها في إيقاظ المشاعر.**

فذكر الألفاظ التالية:

لا يذهب دمه هدرا.

أين كلٌ بني أسد.

ذكر والده الملك.

ذكر أدوات الخيل القوية المسومة والرماح والفرسان.[١٣٥]

أما النموذج الثاني فقد استعمل البحر السريع وهذا البحر "قليل الاستعمال في الشعر العربي كما بقول الدكتور إبراهيم انيس[(١٣٦)]".

جاءت الألفاظ في هذه القصيدة مع ذكره للعدو وهم ينو أسد التي قتلت والده وأدرك ثأر أبيه فيهم.

ذكر أنهم عبيد العصا وهم لا يعطون إلا علي الضرب والإذلال.[١٣٧]

---

(134) الديوان ص ٢١٣-٢١٤.

(135) الديوان ص ٧٨.

(136) موسيقا الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٢٣٣.

(137) الديوان ص ١١٩-١٢٢.

ذكره والده بالأسد الباسل. قرت العينان من مالك استقرت عيناه من قتله لبني أسد.

وهنا حرّم على نفسه الخمر بعد أن وصلت له أخبار مقتل أبيه وقال اليوم خمر، وغدا أمر هنا بعد أن شفي غليله من بني أسد حلت له شرابها، وهو لا يأثم ويكرم نفسه علي أن يشرب الوغل.[١٣٨]

هناك نموذج آخر من نماذج انتظار العدو وقد ركز فيه علي استخدامه بحر المتقارب وقيل المتقارب لتقارب أجزائه أي تماثلها وعدم الطول لأنها خماسية[(١٣٩)].

ذكره لأدوات الحرب: (الدروع- الخيل- الكماة- وقع الحديد علي الحديد- المعاقل).

ألبس للحرب أثوابها- أركب للدروع طرفا عتيدا – طعان الكماة- وقع الحديد بداية من المعلقة.[١٤٠] اما بالنسبه لذكره المكان حتي آخر قصيدة من قصائده في ديوانه فنرى تعبيره بسقط اللوي أو مسقط اللوي ، والدَّخول وحومل.[١٤١]

ودارة جلجل، وقو، وعرعر. أيضا لم يقتصر علي ذكر الأماكن في الجزيرة العربية بل اتجه إلي بلاد الشام فذكر حَماة وشيزر وبعلبك وحمص وأذرعات وغيرها، وفي كل هذه الأماكن مغامراته مع المرأة.

---

(138) الديوان ص ٢٥٢-٢٥٤.

(139) محمد مصطفي أبو شوارب، علم العروض وتطبيقاته، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٨٣.

(140) الديوان ص ٢٥٢-٢٥٤.

(141) الديوان ص ١٠.

جاءت الصورة عند الشنفري في محاور ثلاثة، وهي المحبوبة والثار والعدو وفي كل محور نري صورته كصعلوك بالنسبة للمرأة، نري إبراز سمة الصعاليك ورصد حركات الآخرين وغاراتهم المفاجئة.

- أما المرأة فجاء حديثه عنها بصورة باهتة فجاء حديثه عن أم عمرو التي استبدت به وشغل باله بها وطلب منها أن تكون زوجة له وأن يكون مرغوبًا فيه من قبلها نتيجة مكانته وشجاعته.
- أما عن جانب الثأر فقد بين موقفة مع بني سلامان التي قتلت والده وهو لم يكن كامرئ القيس في ذلك لأن امرأ القيس استنجد بمعظم القبائل طالبا النجدة والمساعدة للحصول علي ثأر أبيه لأن والده كان ملكا وحينما وصله خبر مقتله أقسم أن يقتل من بني أسد مائة ويحز نواصي مائة، أما الشنفري فقد شفي غليله بمقتل رجلين منهم وهي طبيعته كصعلوك.
- أما بالنسبة للعدو فتبرز طبيعته أيضا في السطو والغارات وهي سمة تميز بها الشاعر السنفري كصعلوك إذ كانت الصورة باهتة عنده تخلو من الجوانب الاجتماعية والمواقف الشخصية.
- أما عن الصورة عند المهلهل كان التركيز فيها علي جانب واحد وهو الحرب فقط حتي في عناوين القصائد.

جاءت العناوين:

إن في الصدر من كليب شجونا، وأهاج قذاء عيني الادكار. وحينما دفنه وقام علي قبره يرثيه.

- لما نعي الناعي كليبا.

كلها الفاظ فيها التركيز علي الثأر وشفاء الغليل من بني بكر.

النتائج:

مصادر الصورة عند امرئ القيس جاءت مستوحاة من البيئة الجاهلية فيها ذكر "المطر والسيل- الدمع- الريح والطلال- عنز(الغزالة)".

كذلك قرن صورة المرأة بالناقة – استخدمها في تقديمها طعاما للفتيات يوم دارة جلجل، وحينما ركب مع عُنَيْزة أخذ يغازلها.

واستخدمها مرة آخري في البحث عن المحبوبة.

بالنسبة لانتظار الموت:

جاءت الالفاظ متوائمة مع الموقف فذكر الموت البطئ معالجة القروح- أعالج المرض.

بالنسبة لانتظار العدو:

دمج الفخر بالقوم في ذلك مع ذكره لأدوات القتال وكان التركيز فيها علي الخيل والرماح.

دمج أيضا المكان الحائل، الخبتين، عاقل – كذلك تساؤلاته حول ابن ربيعة عن ربهم، أي يحث القوم علي القتال أين زعيمهم.

جاءت الألفاظ أيضا متوائمة مع الموقف بالنسبة لانتظار المكان في كل هذه الأماكن ذكر محبوباته سواء كانت حقيقية أو وهمية.

- داره جلجل عُنيزة وصُحيْباتها.
- سلمي: قو و عرعر.
- أسماء بلاد الشام حوران.
- أم الحويرث- أم الرباب الجزيرة العربية
- هناء امرأة وهمية: أذرعات.
- وقرنه المكان مع المحبوبة ثم. وبعض الأماكن ذكرها لنصرته ضد بني أسد.
- وبعض الأماكن قرنها بالموت مثل أنقرة.

المكان يظهر إبراز الحالة النفسية عنده وكان يربطه بالمرأة.

يعتبر امرؤ القيس المؤسس الحقيقي لهذه الظاهرة فجاءت قوية عنده متوائمة مع طبيعته كشاعر، وعاشق، وولهان، وفارس، وبطل، وشجاع، وفي كل موقف تري طبيعته وسماته.

كما يري توافر كثير من المواقف من حيث تناوله للألفاظ والموضوعات ففي انتظاره للمرأة رأينا مواقفه وحديثه عن الناقة، مرة يقرنها مع المرأة، مرة قدمها طعاما وأخري يبحث بها عن المحبوبة، كما تري مغامراته النسائية الواضحة فذكر دموعه التي تصيبه بالأسي والحزن وفي كل ذلك تري ضعفه أمام المرأة.

أما عن انتظاره للموت فكان انتظاره بمثابة مواقفه أيضا ورأينا حكمته من ذلك مبينا أن الموت يدرك كل شئ مهما طال الأجل كما يذكر موقفه مع الموت في مواقف عدة منها موقفه مع قيصر الروم وهو حينما استنجد به لنصرته، كما تري صورة المرأة مع ذلك حينما جلس علي قبر الفتاة.

أما عند انتظاره وترقبه للعدو فقد ذكر فيه موقفه مع بني أسد التي قتلت والده كما ذكر قوته وعدته وعتاده وان شفاء غليله لم يتم إلا بعد أن يقتل العديد من بني أسد.

أما عن انتظاره للمكان رأينا تركيزه واهتمامه بذكره للمكان مع المرأة وهو لم يكتف بالجزيرة العربية بل امتد إلى ذكر الأماكن في بلاد الشام (حمص–شيزر–اذرعات)، وغيرها.

اما عن انتظاره وترقبه للنهار ففيه يبرز الحالة النفسية في المعلقة كما يذكر حالته ومكانته في رحلة الصيد وبالإضافة إلي انتظاره للنهار من أجل بني أسد وقتل العديد منهم.

قرن امرؤ القيس بني أسد مع النهار والموت والمكان وفي كل من هذه الأغراض رأينا تواؤم الألفاظ وكثرة الصور والمواقف.

إن امرأ القيس من شعراء الطبقة الأولي كما صنفه ابن سلام الجمحي في طبقاته١٤٢، وهو شاعر من الطراز الأول من شعراء الجاهلين وكل ما ذكر له من مواقف يدل علي نظرته الجمالية التي تكشف عن طبيعته الشعرية المتعددة.

بالنسبة للشنفري مزج الشنفري المرأة مع الثأر.

بالنسبة للمهلهل جاءت الصورة مع المهلهل متوائمة من خلال الألفاظ التي ذكرها.

الصورة عند المهلهل جاءت في إطار واحد وهو الحرب والحزن فهي لم تخرج عن هذين الجانبين.

كذلك اللغة تحتوي علي ألفاظ الحرب والقتال.

كل موضوعات الانتظار التي جاءت عند امرئ القيس في كل غرض نجد أن امرأ القيس هو الوحيد والمتفرد في هذا الجانب.

يختلف الشنفري عن امرئ القيس فهو نظر الي المرأة كزوجة فقط.

أما امرؤ القيس فنظر إلي المرأة الحبيبة والمعشوقة والبيضة الخدر، والحبلى، والمرضع، وكذلك النساء الوهميات، وغيرهن.

تواءم امرؤ القيس مع الشنفري في موقف الثأر فكل منهما يريد الحصول علي ثأر أبيه لكن امرأ القيس كان متفوقا عليه فهو طلب النصرة من القبائل في مساعدته وسبب ذلك أن والده كان ملكا بخلاف والد الشنفري.

(142) راجع كتاب طبقات فحول الشعراء السفر الأول.

من يتأمل ديوان المهلهل بن ربيعة فانه يجد ان كل الديوان يحتوي علي انتظار الهم والثأر لأخيه، علي الرغم من أنه أول من سلك الطريق للشعر، إلا أن هذه الظاهرة مسيطرة عليه في ذلك.

كان امرؤ القيس يظهر ضعفه أمام المرأة، وسبب ذلك انه صاحب نزوات وشهوات، وهو لم ينظر اليها كزوجة بل كان ينظر إليها من اجل تحقيق هذه النزوة الشيطانية فقط.

وكذلك قوله:

أَفـــاطِمَ مَهـــلاً بَعـــضَ هَـــذا التَـــدَلُّلِ ... وَإِن كُنـــتِ قَـــد أَزمَعـــتِ صَـــرمي فَـــأَجمِلي
وَإِن كنْـــتِ قَـــد ســـاءَتكِ مِنّـــي خَلِيقَـــةٌ ... فَـــسُلّي ثِيـــابي مِـــن ثِيابِـــكِ تَنـــسُلِ
أَغَـــرَّكِ مِنّـــي أَنَّ حُبَّـــكِ قَـــاتِلي ... وَأَنَّـــكِ مَهمـــا تَـــأمُرِي القَلـــبَ يَفعَـــلِ
وَمـــا ذَرَفَـــت عَينـــاكِ إِلاّ لِتَـــضرِبي ... بِـــسَهْمَيْكِ في أَعـــشارِ قَلـــبٍ مُقَتَّـــلِ[١٤٣]

(143) الديوان ص ١٢-١٣.

المصادر والمراجع

أولا:المصادر:

- **الأب *لويس شيخو*: شعراء النصرانية في الجاهلية والإسلام، مكتبة الآداب، مصر، د.ت.**
- ***ابن قتيبه*: الشعر والشعراء، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦، تحقيق محمود شاكر.**
- ***أبو الفرج الأصفهاني*: الأغاني، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر، ١٩٩٣.**
- ***أبو زيد القرشي*: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ج٢ ط١، ١٤٠١-١٩٨١.**
- ***أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي*: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.**
- ***امرؤ القيس*: ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٤، د.ت.**
- ***عبد العزيز الميمني الراجكوتي*: الطرائف الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، فبراير٢٠٠٩،(سلسلة الذخائر رقم ١٨١).**
- ***المفضل الضبي*:المفضليات، دار المعارف، مصر، ط٧، د.ت، تحقيق احمد محمد شاكر.**
- **محمد *بن سلام الجمحي*: طبقات فحول الشعراء، "السفر الأول" دار المدني بجده السعودية، تحقيق أبو فهر محمود شاكر.**
- ***المهلهل ابن ربيعة*: ديوان المهلهل، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.**

ثانيا:المراجع:

- *إبراهيم عبد الرحمن*: الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية والموضوعية، مكتبة دار الشباب، مصر، د.ت.
- إبراهيم أنيس : موسيقا الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة د.ت.
- *أحمد الحوفي*: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، مصر ١٣٦٩هـ- ١٩٤٦م.
- *إسماعيل أحمد العالم*:

  دراسات في الشعر العربي، هبة النيل للطباعة والنشر، مصر، د.ت.
- *بدوي طبانة*:

  معلقات العرب، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.
- *ثريا عبد الفتاح ملحس*:

  القيم الروحية في الشعر الجاهليّ قديمه وحديثه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.
- *جرجي زيدان*:

  تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، د.ت.
- *خليل أبو ذياب*:

  الأدب الجاهلي، دار عمار، عمان الأردن، د.ت.
- *خيرية الثقاف*:

  مناهج دراسة الأدب العربي، وتدريسه في الجامعات العربية، ط جامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية الرياض ط ١٤١٣هـ-١٩٩٣.
- *ريتا عوض*:

  بيئة القصيدة الجاهلية الصورة الشعرية لدي امرئ القيس، دار الأدب، بيروت،د.ت.

- *سعد بن عبد الله الجنيدل:*

– معجم عالية نجد، دار اليمامة للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت، ط٢.

– معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر، مطابع جامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، ١٤١١هـ – ١٩٨٩.

- *سعد دعبيس:*

تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي، دار الثقافة، القاهرة، د.ت.

- *شوقي ضيف:*

–العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط٧، د.ت.

– البحث الأدبي، مصر، دار المعارف، د.ت.

- *الطاهر أحمد مكي:*

امرؤ القيس حياته وشعره، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٨٥.

- *طه حسين:*

في الأدب الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط١٦، د،ت.

- *عبد الحليم حنفي:*

–شرح لامية العرب للشنفري، مكتبة الآداب، مصر، ط١، ١٤١٩–١٩٩٩م

– الشنفري الصعلوك حياته وأدبه،مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩.

– معلقة أمرئ القيس في ضوء جديد، مطبعة السعادة، مصر ط١، ١٢٠٥هـ ، ١٩٨٥م.

- *عبد الله التطاوي:*

منهجية البحث الأدبي، الدار المصرية اللبنانية، مصر،د.ت.

- *علي جواد الطاهر:*

منهج البحث الأدبي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦.

- *كريم الوائلي*:

الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، دار العالمية للطباعة، نشر وتوزيع مصر، د.ت.

- *محمد أحمد خلف الله*:

من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

- *محمد عبد القادر أحمد*:

دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- *محمد عبد الله حسين*:

ظاهرة الانتظار في المسرح الشعري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨٨.

- *محمد عبد المطلب*:

قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، دار نوبار للطباعة، مصر،ط١، ١٩٩٦.

- *محمود حسين أبو ناجي*:

الشنفري صاحب الصحراء والحب، مؤسسة علوم القرآن، دمشق سوريا، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- *مصطفي ناصف*:

صوت الشاعر القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٢.

- *المكتبة الثقافية*:

قضية الزير سالم أبو ليلي المهلهل، بيروت، لبنان، د.ت.

- مي يوسف خليف:

-القصيدة العربية في المفضليات، دراسة موضوعية وفنية، مكتبة غريب،مصر،د.ت.

-الموقف النفسي عند شعراء المعلقات، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، د.ت.

- وهيب رومية:

الرحلة في القصيدة الجاهلية، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط١، فبراير١٩٧٥.

- يحيي الجبوري:

-الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، موسوعة الرسالة بيروت، ط ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

-لبيد بن ربيعة العامري، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٠.

- يوسف خليف:

-مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر، د/ت.

-دراسات في الشعر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، د.ت.

-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط٢، د.ت.